بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

ترجمة الصفحات من (269 – 327) من رواية (الدميمة)

لمؤلفتها: كنستنت بيرسكو

A Translation of Pages (269-327) of the Novel Entitled (Ugly)

By: Constance Briscoe

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة العامة

إعداد الدارس:

مجتبى حسن حسين

إشراف الدكتور

محمد الأمين الشنقيطي

2018م

الفصل السابع عشر

نفحة من النعيم

1971

صمت السيد هيوز مذهولاً لبرهةٍ من الزمن في محاولةً منه لاستيعاب ما تقوله الآنسة "كي" ثم قال:

- ماذا لو رفضت والدتها؟
- لن تفعل ذلك.
- وماذا لو قررت كلير الذهاب إلى منزل الأطفال المشردين؟
- ستثق والدتها بي يا سيد هيوز إنها الطريقة الوحيدة للخروج من هذه الفوضى وأنت تعلم جيداً كما أعلم بأننا لا نريد فعل أي شيء قد يسئ إلى سمعة المدرسة.
- حسناً. سنكون مدينين لك لو أنك استطعت أخذ موافقة والدتها وبعدم ممانعتك استضافتها لبضعة أيام.
- سأهاتف السيدة بريسكو لآخذ موافقتها.

توارت الآنسة "كي" عن الأنظار فأغمضتُ عيني ثم أتى السيد هيوز ونظر إلى وجهي وقال:

- "هل أنتِ على ما يرام يا فتاة؟"

الإ أنني بقيتُ هادئة تماماً فأتبع قائلاً:

- "سوف نجد حلاً لهذا الأمر بطريقة أو بأخرى فهل أنتِ مستيقظة يا فتاة؟

فأجبته:

- "أجل يا سيدي".

تراجع السيد هيوز وخفت صوته ثم قال:

- "لماذا لا تريدين الذهاب إلى المنزل يا كلير ؟سيكون بالأمر اليسير لو فعلتِ وثقي بالرب أن الأمور لن تكون بذلك السوء"
- "لا أريد الذهاب إلى المنزل يا سيدي".
- "حسناً ربما تغيرين رأيك في غضون يوم أو نحو ذلك".
- "أجل يا سيدي ربما أغيره ولكني لا أدري متى؟"

عادت الآنسة "كي" بعد أن تحدثت إلى والدتي التي لم تمانع من ذهابي معها لبضعة أيام حتى أعود إلى رشدي وأصبح الآن السيد هيوز غير معترض تماماً على الفكرة. إذ أن والدتي ستوافق عليها بل أضحى أكثر من مجرد اتفاق خاص بين والدتي وبين الآنسة "كي" ولم يعد للأمر علاقة بالمدرسة عدا رفضي الذهاب إلى المنزل وأنا في مباني المدرسة مما يتوجب على المدرسة بحكم أنها مدرسة كاثوليكية أن تجد لي مكاناً بين ليلة وضحاها بدلاً من رؤيتي أهيم في الطرقات، وما يحدث بعد ذلك لا يخص المدرسة إذ أن الآنسة "كي" بإقتراحها في حال موافقة والدتي ورغبتها في الأمر فإن من الصعب إدراك شأن المدرسة في ذلك.

طُلب مني عند الساعة الرابعة أن أتمهَّل وعندما أتتني الآنسة "كي" عند الساعة 4:25 ذهبتُ معها إلى منزلها حيث أقلتنا بسيارتها وكانت حقيبتي المدرسية في المقعد الخلفي وسترتي المدرسية موضوعة على ركبتي وكانت الآنسة "كي" تقطن في شقة جميلة وواسعة في مدينة استريتهام بالطابق الثاني وكانت مطلية باللون الأبيض وكان يوجد في غرفة الجلوس سخان للغاز مثبتٌ على مدفأة بيضاء؛ وعلى الأرض سجادة كبيرة بيضاء مصنوعة من جلد الماعز وكان كل شيء مرتب فلم يك هنالك ملابس ملقاة على الأرض ولا أطباق في الحوض ولا أوساخ على الأرض وكانت غرفة النوم ذات لونين

أزرق ووردي وكانت بها سلةً صغيرةً من الخوص أسفل الفراش وستائر من الدانتيل تُطلُ على مساحة مرصوفة.

عرفتني الآنسة "كي" إلى غرفتي وأخبرتني بأن أتصرف وكأنني في منزلي وفي غرفة الجلوس أدارت موقد الغاز لإشعاله بضغطها على زر فحصل الاشتعال عند المحاولة الثالثة ودوى صوت فرقعة عالية ومن ثم ارتفعت الشعلة بمقدار إثنتى عشرة بوصة كان ذلك رائعاً ثم أخبرتني الآنسة "كي" بأن أستلقي على سجادة مصنوعة من صوف الماعز وأن أكون على طبيعتي وقالت لي أنه يمكنني مهاتفة والدتي اذا أردت ذلك إلا أنني لم أفعل.

عندما استلقيتُ على السجادة، فكرتُ في أحداث هذا اليوم وبالتالي كان علي أن أتاكد من أن الآنسة "كي" لن تمل مني إذ انها ليس لديها أطفال أحياء كانوا أم أموات هذا ما أخبرتني به في السيارة كما أخبرتني أنها من بولندا كما تدل عليها لكنتها وهي تعيش وحدها ولازوج لها.

كنت مرتعبة من أن أبلل الفراش في أول ليلة لي في منزل الآنسة "كي" فبقيتُ مستيقظة معظم الليلة أروح وأغدو من وإلى دورة المياه راغبةً في إفراغ مثانتي وعندما غفوتُ حاولتُ أن أستيقظ في نفس الوقت الذي عادةً ما ينطلق فيه المنبه إلا أنني لم أفعل؛ فأندفعتُ إلى المرحاض للتبول فلو علمت الآنسة "كي" أنني يمكن أن أبلل فراشها ستطلب مني المغادرة فوراً إلا أنني على نحوٍ ما استيقظت أثناء الليل من دون فراش مبلل كما غسلت الآنسة "كي"ملابسي البيضاء أثناء الليل وفي الصباح التالي ذهبتُ معها إلى المدرسة. وكانت كلاً من بولين وباتسي في انتظاري عند بوابة المدرسة وقالتا معاً:

- "هل ستأتين إلى المنزل يا كلير؟"
- "لا".
- "حسناً، هذه كتبك المدرسية وملابسك الداخلية النظيفة".

أخذتهما ووضعتهما في حقيبتي المدرسية ثم قلت لهما:

- "شكراً"

ثم عبرنا جميعاً بوابة المدرسة ومن ثم إلى صفوفنا المرتبة للطابور. ولاحقاً في ذلك الأسبوع سلمنني أخواتي بعض الملابس ومزيداً من كتبي المدرسية التي أخذتها معي إلى منزل الآنسة "كي" ولم تك هنالك مشكلة مع أخواتي إذ أن انسجامي معهم كان كما هو من ذي قبل إلا أنني الآن حرة ليس بالمعنى الحرفي بل أكثر حريةً.

أخبرتُ الآنسة "كي" عن عمل السبت فذهبنا معاً بالبص من استريتهام إلى ايلفانت أند كاسل حيث استقل البص رقم 12 أو 35 أو 171 إلى طريق وول ورث. تحسنت حياتي فلم أبلل الفراش البتة أثناء إقامتي مع الآنسة "كي" إذ كانت ودودة جداً معي في حين كانت والدتي سعيدة ببقائي هناك أطول فترة ممكنة طالما أن ذلك يرفع الحرج عنها و عن المدرسة، ولم تطالب الآنسة "كي" بأجر نظير اعتنائها بي على الرغم من أن والدتي مازالت تتلقى الدعم المدفوع لي و هذا ما دفعني لافترض أن والدتي كانت تحب المال.

مررنا عبر المدرسة وأُنزلتُ خلف كنيسة ساكرد هارت فتوجهت إلى المدخل الأمامي وذهبت الآنسة "كي" إلى مرآب السيارات بالمدرسة، ودلفت عبر باب الأساتذة وبنهاية الدوام المدرسي كنت أنتظر في قاعة الطابور حتى الرابعة والربع ثم قابلت الآنسة "كي" عند الكنيسة فبدا الأمر جيداً، وبعد بضعة أسابيع لم يعد هنالك ذكر لذهابي إلى المنزل وكانت الأخبار تأتيني من أخواتي في باحة المدرسة وبنهاية الدوام المدرسي وانتظاري للآنسة "كي"، كنت اسلم واجباتي الدراسية كما تحسنت درجاتي وأصبح عملي الفني مثيراً للإعجاب إذ توفر لي الوقت الكافي للإبداع.

لم أتباحث مطلقاً مع زملائي عن منزلي الجديد إذ أنه أمر يخصني وأي ثرثرة فيه قد تكون سبباً في إعادتي إلى المنزل مرة أخرى وهذا هو آخر ما أرغب فيه. وفي إحدى المرات في طريق العودة إلى المنزل ذكرتُ للآنسة "كي" أنني أرغب في أن أصبح محامية فانفجرت ضاحكة وأرجعت رأسها إلى الخلف ثم ضربت مقود السيارة مرتين وقالت:-

- "هذا صحيح يا بنيتي هدفٌ سامي وتذكري أن شخصاً واحداً فقط يمكنه ايقافك يا كلير وهو أنتِ فلقد قالت: "آنيا كورشنسكي أن هنالك شخصاً واحداً فقط في العالم يمكنه ايقافك وهو نفسك"

قلت لها:

- "من هو يا آنسة؟"
- "أنتِ يا كلير، أنتِ فقط يمكنك ايقاف نفسك فأنتِ لديك القدرة للإنطلاق بعيداً لذلك اطلقي لنفسك العنان".

ثم قادتنا إلى شقتها في صمت ولم أظن قط أنني قد أوقف نفسي فلماذا أفعل شيء كهذا. مرت الامتحانات فكانت نتائجي وهي معلقة على اللوح ممتازة وكان جميع أساتذتي مسرورين.

- لم تعد كلير تختلق الأعذار إذ أنها تؤدي واجباتها في وقتها وبقدر كبير من الأفكار المتسقة ونتائجها ممتازة حقاً- إنه عمل جيد.
- فتاة ذات قدرات جيدة تمكَّنها من المضي قدماً.
- أحرزت كلير تقدماً مضطرداً واذا واصلت على هذا المنوال فستكون نتائجها القادمة مبهرة.
- شابة محبوبة وذكية حقاً ولها قدرة استثنائية على التذكر وستبلي بلاءحسناً في الحياة.

أُعطي تقريري المدرسي لأختي كي تسلمه لوالدتي وجيء به في اليوم التالي ثم أعيد إلي وكان المظروف مغلقاً. ربما حان الوقت للكتابة للسيد مانسفيلد.

عزيزي السيد مانسفيلد

أتمنى ألا يكون لديك مانع في كتابتي لك ولكنني أريد إعلامك بأنني قد نجحت في الامتحانات مؤخراً وأنا في طريقي لأن أصبح محامية وسوف اتصل بك مرة أخرى عندما يكون لدي المزيد من الأخبار.

كلارا بريسكو

سألتُ الآنسة "كي" عندما حلَّت إجازة منتصف الفصل عما إذا كان بإمكاني البقاء معها فوافقت ولكنها ذكرت أن بمقدوري الذهاب إلى المنزل وقتما أشاء وإذا فعلت فإننا سنظل دائماً أصدقاء كما أنه يمكنني دوماً البقاء معها متى ما شئت، وأنها ستظل بجانبي مهما حصل وسأكون الابنة التي لم تنجبها.

لم تُطالب الآنسة "كي" بأي مقابل مادي نظير إقامتي معها لذلك عرضتُ عليها بعد الشهر الثالث ثمان جنيهات كنت قد إدخرتها من عمل السبت، فطلبت مني ألا أكون ساذجة وأن أضع المال في محفظتي فقمتُ سرا بشراء صندوق من مكعبات شيكولاته كادبري بالحليب و وضعتها على وسادتها في غرفة نومها وعندما ذهبت إلى غرفتها أجهشت بالبكاء و استرسلت فيه فارتعبتُ ولم أدر هل أدخل أم أنادي عليها من الخارج وفي النهاية بقيت في غرفتي، وفي صباح اليوم التالي كانت كأن شيئاًلم يكن حيث أخبرتني ألا أهدر مالي فيما لا يجُدي مستقبلا، ثم شكرتني وأخبرتني أنه ألطف شيء عرِفتهُ منذ أن جاءت إلى انجلترا إذ هربت مع والديها من معسكرات الإعتقال في بولندا وانتهى بها المطاف كأستاذة اقتصاد وتجارة وعمل مكتبي وطباعة وقد أحبت عملها وكان أكبر حزنها في هذه الحياة هو أنه ليس لديها أطفال حيث قالت بلكنتها البولندية القوية "كيف كنا في تلك الأيام؟" لم يكن ذلك ممكناً قط ثم هزت رأسها من

جانب لأخر وهي تقود سيارتها فاحمرَّت عيناها واغرورقتا بالدموع ثم أوصلتني إلى المكان المعهود.

كان يوم الأربعاء يوماً سعيداً حيث كانت الدروس شيقة، كما تناولنا وجبتي المدرسية المفضلة الا وهي كيكة الشوكولاتة مع الكاسترد الوردي وكان الصنف الأول شريحة لحم وفطيرة الكلية ذات القشرة السميكة المملحة وبازلاء عين الطائر وبطاطا مهروسة وجزر ومرق اللحم. وبعد الانتهاء من غداء المدرسة التقيت بأخواتي وبحسب قولهن لم يتغير المنزل كثيراً فسألنني:

- "إلى متى ستبقين هناك؟"
- "لا أدري، إلا أنني لن آتي إلى المنزل"
- "أمي تقول أن الآنسة "كي" سوف تمل من تبليلك فراشها"

فقلت:

- "حسناً، هذا مضحك فمنذ مكوثي مع الآنسة "كي" لم أبلل الفراش ولو لمرة".
- "كاذبة".
- "أقسم بالرب، أدعو على نفسي بالموت"
- "حسناً، أمي تقول أنك سوف تعودين إلى البيت عاجلاً أم آجلاً تجرين أذيال الخيبة (تجرجرين ذيلك بين قدميك)"
- "لكنني ليس لدي ذيل". قُرع الجرس فاصطففنا جميعاً وعدنا إلى المبنى الرئيسي بأسلوب مرتب ثم بدأت جلسة ما بعد الظهر.

أصبح الآن لدي عددٌ من الملابس الجميلة والفضل كله يعود إلى محل روزس في شارع وولورث حيث كُنتُ ذات يد بارعة في خدمة الزبائن فمهما كانت بدانتهم أو سذاجتهم في إختيار الملابس التي يرتدونها كُنتُ دائماً ما أجد شيئاً لطيفاً لأقوله كبعض التعليقات لزيادة المبيعات فكنت طيبة جداً وقد أدركت

إيلين ذلك فحصلتُ على زيادة في الراتب وكنا سعداء جميعنا بتقدم كلارا بريسكو.

بلغتُ الرابعة عشر عاماً في الثامن عشر من مايو وعرفت الآنسة "كي"بأنه عيد ميلادي فاشترت لي كتاباً بعنوان "الأميرة الصغيرة" لمؤلفه فرانسيس هادسون بارنيت، وكان مغلفاً بشكل جميل وقد كانت نسخة من الطبعة الأولى وبحالة ممتازة كما كانت صفحاته سميكة الأوراق تميل إلى اللون البني قليلاً كما كان مطبوعا بصورة يسهل رؤيتها، لقد أحببتُ الآنسة "كي" إذ كانت الأم التي لم أنعم بها فحينما نظرتُ إلى الكتاب اغرورقت عيناي بالدموع وسقطت دمعة كبيرة على الصفحة فضممتُها بين ذراعي وقبلتُها وقُلتُ لها:

- "يا آنسة "كي" هذه أفضل هدية أحصل عليها قط". فعانقتني وقبلتني على خدي ثم دفعتني بعيداً.
- "إليك عني يا كلير كل هذا هراء طفولي إنه مجرد كتاب حتى إنه ليس بالجديد".

نظرنا إلى بعضنا البعض ثم بدأت تضحك ونقرت بطرف أصبعها على أنفي قائلة "الواجب المدرسي" فنقرتها بطرف أصبعي على أنفها وقُلت "الواجب المدرسي".

وفي المدرسة تشارك أخواتي مع بعضهن واشترين لي بعض ملح الاستحمام من شارع وول ورث ومكعبات نبات الخزامي "وهو نبات ذو أزهار بنفسجية رائحته زكية" وشيء من سلطان الجبل "وهو نبات متسلق ذو رائحة زكية ولون أصفر أو بني" ولم تك هنالك هدية من والدتي إذلم أتلق منها أي هدية من قبل، لذلك من الصعب أن أتوقع منها واحدة الآن لا بطاقة عيد ميلاد ولا شيء ولا حتى عبارة اغربي عني كليري عزيزتي.

لقد أبكتني قصة الأميرة الصغيرة، تلك الفتاة المسكينة التي فقدت والدها الذي توفى فاعتنى بها أناس سيئون حيث كانت تنام في أردأ حال كما تلقت أسوأ المعاملات إلا أنهالم تستسلم أبداً ولو لمرة، وفي النهاية تم إحقاق الحق. كنت استرسل في البكاء عندما أقرأ الكتاب وأبكي مجدداً عند إحقاق الحق، وأضحت قصة الأميرة الصغيرة فوراً هي الكتاب المفضل بالنسبة لي على الاطلاق، وتحدثنا أنا والآنسة "كي" عن القصة لبضعة أسابيع بعد عيد ميلادي.

- "إن للكتاب رسالة يا كلير وهي أن لا تستسلمي أبداً فما تريدينه يمكنك القيام به طالما ترغبين بذلك".

تحسنت واجباتي المدرسية طوال الوقت فدعاني السيد تيمونس إلى مكتبه في بواكير يونيو وأخبرني بانتقالي إلى المستوى التالي في سبتمبر المقبل كما كان التقدم الذي أحرزته في الفصل مثالاً يحتذى به وقال أيضاً أنه يريد أن يرى مزيداً من النتائج الممتازة في الامتحانات القادمة، وكُنتُ سعيدة وأصبحت واجباتي المدرسية سهلة جداً الآن وأصبح لدي متسعاً من الوقت لأداء واجبي المدرسي وكُنتُ على درجة عالية من الاستعداد، فأخبرتُ الآنسة "كي" بذلك فقالت إن هذه أخبار جيدة جداً وأنني فقط أحتاج إلى التركيز والانكباب على نفسي.

عملتُ بجد كبير في أوقات فراغي فراجعت و جاوبت على الأسئلة بإجاباتٍ نموذجية و تعلمت كيفية التخطيط للمقالات وعندما أتت الامتحانات كُنتُ جاهزة وقبل إصدار النتيجة بقليل دعاني السيد تيمونس إلى مكتبه مرة أخرى ومد يده إليَّ وقال:

- "أداء جيد، سوف تبدئين في سبتمبر المقبل المستوى (أ) وأُدرك أنك سوف تكونين الطالبة المثالية وقائدة الألعاب، أهنئك على ذلك " ثم صافحني ودلني إلى خارج مكتبه.

كانت تلك أخبار جيدة جداً ولكنني لم أعلم كيف كانت نتائجي إلا أن ذلك لا يهم. على نحو آخر ثم أتت الفاجعة عندما أقلتني الآنسة "كي"بعد المدرسة حين قالت لي:

- "يا كلير سيتوجب عليك العودة إلى والدتك، أنا آسفة لكن لا يمكنني الاعتناء بك أثناء إجازات الصيف ولكن يمكنك العودة والبقاء مرة أخرى بعد الإجازات".

فذُهلتُ:

- "لماذا لا تريدينني؟".

ربتت الآنسة "كي" على ركبتي ثم قالت:

- "لا مجال لذلك، إذ يتوَّجب عليَّ العودة إلى بولندا في أغسطس ومن الخطأ تركك لوحدك ولذلك عليكِ أن تعودي لوالدتك كما أنني لا أستطيع أخذكِ معي إلى بولندا".
- "أنتِ تعنين إجازات الصيف فقط يا آنسة "كي""؟.

فقالت الآنسة "كي":

- "إذا رغبتِ في ذلك".

فقلتُ:-

- "نعم أرغب، متى يمكنني العودة؟".

ستعود الآنسة "كي" في نهاية شهر أغسطس ومن ثم يمكنني الإنضمام إليها متى شئت، لم يكن الأمر بذلك السوء الذي اعتقدته.

وفي آخر يوم للمدرسة استيقظنا باكراً ووضعت الآنسة "كي" أغلب ممتلكاتي في حقيبة كبيرة ذات قفل، ليتم الحفاظ عليها في سيارتها حتى نهاية الدوام

المدرسي كما ستنتظرني في الوقت المعتاد.كانت الفوضى كالمعتاد في آخر يوم من الفصل الدراسي حيث قُمت بجمع وإعادة كل مراجعي القديمة وبشكلٍ عام قمت بوداع زملائي في الفصل إذ أنه في الفصل القادم سيكون لدي زملاء جدد. وعند عودتي إلى المنزل سعِدت أخواتي فمنذ أن غادرت أسندت إليهنَّ أعمال التنظيف والطبخ والكنس على الأقل كنت أشاركهن بنصيبي في إحدى هذه المهام الثلاثة ولم يك يتوقع من الأولاد في عائلتنا المشاركة في أيٍ من المهام المنزلية.

وبعد إنتهاء آخر الدروس شققت طريقي عبر البوابة الأمامية ثم انحرفت يميناً فصاحت بي كل من بولين وباتسي:

- "يا كلير هل ننتظركِ ؟ كلير سننتظركِ هنا".

فصحت رداً عليهن بأني لا أريد منهن انتظاري.

ثم اتجهتُ نحو الآنسة "كي" التي كانت في سيارتها وعندما رأتني بالمرآة أقترب منها ترجلت ثم اتجهت إلى صندوق سيارتها فقلت لها:

- "مرحباً يا آنسة".
- "ناديني بآنيا".

فقلتُ:

- "شكراً يا آنسة".

نظرتُ إليها لكنها لم تبدِ أنها كانت تبكي إلا أنها بدت منزعجة. ورغماً عن إصرارها إلا أنه لم يك من الضروري أن تقلني إلى منزلي فأتفقت معي أخيراً بأنها ليست بالفكرة السديدة إذ أنني غادرت المنزل بمفردي ورفضت العودة إليه لذلك يتوجب علي العودة بمفردي الآن، أنا كلير أعود، ما حدث قد حدث إضافة إلى أنها مجرد ستة أسابيع وتعود الآنسة ومن ثم أغادر المنزل مجدداً.

فقالت الآنسة "كي":

- "لن أراسلك يا كلير فمن الصعب علي فعل ذلك لأنني سأكون في حالة ترحال".

فقلتُ:

- "لا بأس يا آنسة".

ثم قالت لي الآنسة "كي" أن عليَّ المواظبة على أداء واجبي المدرسي أثناء غيابها وسترى مقدار ما تعلمته عند عودتها فاحتضنتها وأخبرتها بأني سوف أفتقدها ثم التفتُ وغادرتُ ولم أسمع سيارة الآنسة "كي" وهي تغادر وعندما عبرت طريق كامبرويل الجديد ما زلت لا أسمعها فمشيتُ عبر الزقاق ثم انحرفتُ يساراً عند صالة لعرض السيارات المستعملة وانتظرتُ البص ستكون ستة أسابيع مع والدتي.

الفصل الثامن عشر

زوال النعيم

1971

بدت غرفة نومي القديمة كما هي. الفراش معد كما كان، وتم إغلاق المنبه وكانت هناك طبقة من الغبار في الجزء الأعلى من الصندوق –لقد نسيتُ تماماً المنبه فمنذ مغادرتي المنزل لم يكن هنالك داعٍ لأحدهم فلا أذكر آخر وقت بللت فيه الفراش بالتأكيد ليس في منزل الآنسة "كي" –وتلاشت أكوام البلل من ركن الغرفة وأصبح بها شيء من الانتعاش.

لقد كانت في خزانة ملابسي علبة من الكعك المحلى كما كانت ملابسي ما تزال معلقة، ولكن إختفت جميع عطورى ذات الثمن البخس وحينما كنت قد أفرغت حقيبتي فأدخلت بولين رأسها من الباب وبينما كانت تتحدث إلي دفعتها باتسي إلى داخل الغرفة والتي بدورها دُفعت إلى الداخل بواسطة بيوتي ودينيس فأنتظروني حتى أفرغت كتبي وملابسي ثم قالت بولين:

- "أمي تريد التحدث إليك".

وقال كارل:

- "لا تتعجلي، فقط في وقت فراغك أم أنك تريدينها أن تأتي إليك؟"
- "لا، سآتيها حالاً"

وضعتُ كتبي على السرير وتجاوزت أخواتي وأخواني الذين إصطفوا بطول الحائط المؤدي إلى الباب وأنا أتجاوزهم تساقط الجميع من الغرفة بالمعنى الحرفي وأصطفوا على طول الحاجز للحصول على أفضل وضعية وبالطابق الأرضي طرقتُ الباب وانتظرتُ ثم طرقتُه مرة أخرى ودلفتُ فقالت لي والدتي:

- "أخرجي إلى أن أذن لكِ بالدخول".

خطوتُ إلى الخلف فخرجتً وأغلقتُ الباب ثم طرقتُه وأنتظرتُ فلم تُجب ولم يك هناك جدوى من قرع الباب مرة أخرى فلقد سمعتني وراتني وهي من ترغب في رؤيتي ولم أكن في عجلة من أمري لأراها وأخيراً قالت:

- "أدخلي".

انتظرتُ، فقالت مرة أخرى:

- "أدخلي"

فانتظرتُ، إذ ليس هنالك داعٍ للعجلةفلدي ستة أسابيع، ثم سمعتُها تحرك الكرسي وتضع الكوب فدلفتُ:

- "مرحباً يا أمي".
- "أها هذه أنتِ، وأخيراً تم طرد الإبنة العاقة".
- "قال كارل أنكِ تريديني".
- "ماذا تفعلين هنا؟".
- "قال كارل أنك تريديني".
- "ماذا تفعلين مجدداً في منزلي؟".
- "ماذا تعنين؟".
- " حسناً، لم أعطكِ الإذن بالعودة إلى المنزل، هل فعلت ذلك؟ هل سألتني إذا كان بإمكانك العودة؟ لا، إذاً ما الذي تفعلينه هنا؟".
- "يمكنني الذهاب لو أردتِ؟".
- "أنت تودين ذلك أليس كذلك؟ بعدها تذهبين وتخُبرين الناس بأنني قمت بطردك".

فقلتُ:

- "أنا لم أعد إلى المنزل لأتجادل معكِ".

- "إذاً ما الذي أعادكِ؟ لا أحد يرغبُ بك هنا، فلم لا تغربين إلى المكان الذي أتيت منه".
- "نعم، صحيح يمكنني فعل ذلك، يمكنني الذهاب عاجلاً أم آجلاً الأمر متروكاً إليكِ فلدي مكان أذهب إليه. وعلى كل حال لقد قال جورج أن بإمكاني الذهاب إلى منزله إذا لزم الأمر لذا إذا كنتِ لا ترغبين في بقائي فسوف أذهب وأحزم أمتعتي".

جلست والدتي مجدداً على كرسيها – أعتقد أنها ولنواحٍ كثيرة تخشاني أكثر مما أخشاها– وكانت كل من سينثيا ونورما تجلسان عند قدميها وإيستمان جالسٌ على الكرسي المقابل لها فقلتُ:

- "هل هناك شيء آخر؟".
- "نعم بإمكانك أن تحزمي أمتعتك و تغربى عن وجهى فهذا ليس بيت للمشردين"

أغلقتُ الباب من خلفي، وتفرَّق إخوتي وأخواتي وأثناء عودتي إلى الطابق العلوي سألني كارل إن كُنتُ ذاهبة مرة أخرى فأوماتُ وكانت كتبي المدرسية مكدسة في أسفل خزانتى وملابسي الجميلة محزومة في الحقيبة فوضعتها في الحقيبة التي أعطتني إليها الآنسة "كي"، ثم حشوت بعض الملابس القديمة في الحقيبة والتقطتُ كتاب الأميرة الصغيرة ونزلتُ السلالم ثم خرجتُ من الباب الأمامي وأغلقتُه خلفي.

كان والدي قد أعطاني عنواناً للحالات الطارئة وهو طريق إيثنارد رقم 52 بيكهام إس إي 15 ولقد تواجدت هناك لمرة أو اثنتين، ولكنني غير متأكدة من كيفية الوصول إلى هناك فأستقللت البص رقم 12 المؤدي إلى كامبرويل قرين ثم البص رقم 36 إلى بيكهام وترجلتُ منه عند شارع بيكهام السريع قُبيل الطريق المؤدي إلى طريق صانر وسألت في قسم الشرطة عن الإتجاهات إلى

طريق إيثنارد وكانت هنالك خارطة كبيرة خلف الشرطي فأشار إلى المكان الذي أتواجد فيه وإلى المكان الذي أقصده فارشدتني إتجاهاته إلى خلف مجمع سكني كبير حيث يوجد هناك شارع سكني خاص فطرقتُ الباب رقم 52 فأجابت سيدة بدينه جدا عرَّفت نفسها بأنها صديقة والدي واسمها دولاريس، وقالت: "أنه غير موجود بالداخل وأنه يمكنني الإنتظار أو الذهاب إلى طريق 215 كامبرويل الجديد".

أخذني البص رقم 36 "بطول الطريق إلى كامبرويل الجديد" إلى الباب الأمامي لمنزل جورج تقريباً. وحينما قرعتُ الجرس قال المستأجرون أنه غير موجود وربما يكون في طريق رقم 41 أوفلي عند ملعب الكريكت البيضاوي وكان على بُعد مسافة قريبة. لذا حملتُ حقيبتي وذهبتُ إلى هناك إلا أنه لم يك هناك أيضاً ولم يك لديهم أدنى فكرة عن مكان تواجده، فتذكرتُ أن لديه صديقة أخرى في البناية السكنية التي خلف الملعب البيضاوي وهي الآنسة ليندزي إذ أنني أقمتُ معها في بضع مناسباتٍ فيما مضى وكانت تسكن في الطابق الثالث وبعد التجوال وجدتُ ما أعتقدته البناية السكنية المنشودة، وبحسب ذاكرتي هي الشقة الثالثة على اليسار بعد السلالم، كان الباب غير مألوفٍ لي ولكنى طرقته على أي حال ففتح الباب رجلٌ بقميص داخلي والذي دعا زوجته في الحال ثم عاد إلى الداخل، وكانت زوجته سيدة ضخمة تضع أحمر شفاه وأقدامها كبيرة تكاد تنزلق من الحذاء، خرجت وسألتني عن ما الذى أبحث عنه فأوضحت لها أنني أبحث عن الآنسة ليندزي. لم تتعرف على الاسم ولكن عندما قمت بوصفها تعرَّفت عليها فوراً وقالت:

- "بالطابق العلوي يا حبيبتي الي يسار السلام الباب الثاني إلى اليمين".

فشكرتهُا ثم شققتُ طريقي إلى الطابق العلوي وكانت الآنسة ليندزي موجودة فحمدتُ الله على ذلك. سألتني إن كانت والدتي تعلم أنني هنا أو إن كان جورج يعلمُ بذلك؟ وختاماً من يعلمُ أيضاً؟

وبعد أن أوضحتُ لها مسار رحلتي طلبت مني أن أدخل وأثناء ذلك وضعت الغلاية على النار ودلتني إلى غرفة نومي القديمة والتي لم تتغير كثيراً على الرغم من أنها بدت كما لو أن مستأجرا كان يسكنها مؤخراً، قالت لي:

- "هناك كثيرٌ من الناس يقطنون معي يا حبيبتي لذا اخدمي نفسك وتصرفي بإرتياح".

وبذهاب الآنسة ليندزي لوضع الغلاية على النار شردتُ بذهني، إذ لا يعلمُ أحد بوجودي هنا فوالدتي لا تكترث البتة وكذلك والدي، الله وحده يعلمُ بمكانه وأما الآنسة "كي" فمن المحتمل أنها في طريق عودتها إلى بولندا.

كانت الآنسة ليندزي لطيفة جداً معي، وكانت تحاول يومياً الاتصال بأبي ولكنه حضر أخيراً لرؤيتي بعد مرور ثلاثة أيام ولم يك يدرك أنني قد طُردتُ خارج المنزل إلا عندما ذهب لزيارة أبنائه في صاذرلاند سكوير أدرك حينها فقط أنني مفقودة وعندما أخبرته بولين أنني معه قال أنه لم يرنِ وعندما إتصل بصديقته أخبرته بأنني زرتها قبل ثلاث ليالي وأنها قد أرسلتني إلى طريق كامبرويل الجديد حيث تتبع من هناك مساري وأخيراً قرر أنه لابد من تواجدي عند الآنسة ليندزي، قال لي والدي أنه لا يمكنني البقاء معه وذلك لكثرة إنشغاله فهو لا يتواجد أبداً في نفس المكان إذ أنه دائم التنقل ثم أخبر الآنسة ليندزي أن كارمن كانت واضحة بقولها أنها لا تريدني وأنه سيلجأ إلى المحاكم حتى يتحصل على الوصاية عليَّ وعلى أخواتي فقالت الآنسة ليندزي بأنني لا أُشكل عبئاً عليها وأنه بإمكاني البقاء بقدر ما أشاء خاصةً وأنه لم يعد لدي منزل أذهب إليه فوافق والدي على ذلك، وبما أنه أفضل مكان بالنسبة إلي في الوقت الراهن

وعند مغادرته أعطى الآنسة ليندزي بعضاً من المال للإعتناء بي ريثما يقوم بترتيب أكثر إنتظاماً.

بقيتُ لمدة أربعة أيام قبل أن أرى والدي مجدداً وحينما رأيته كان ذلك لحوالي عشر دقائق فقط عندما أحضر بعض الطعام للآنسة ليندزي وزجاجة من مشروب جينيس إستاوت. أما بالنسبة لي فقد أحضر بعضاً من البسكويت وعلبة من الحلوى وبمرور أسبوع أخبر الآنسة ليندزي أنه ذهب لرؤية محاميه وأن القضية سوف تُحل قريباً. ولم يك ذلك يعني عدم سعادتي بوجودي في منزل الآنسة ليندزي، فلقد كانت لطيفةً جداً معي كما كانت بعض ملابسها التي لا ترغب بها مناسبةً لي. ومع هذا ما زلتُ قادرة على الذهاب إلى محل روزس في يوم السبت فكان البص رقم 159 يتجه تقريباً من خارج البناية السكنية إلى الملعب البيضاوي حيث يمكنني المشي أو استقلال البص عند إحساسي بالكسل. طلبت مني إيلين العمل لأسابيع قلائل أثناء فترة الإجازات وذلك لتغطية غياب العاملين بدوام تام فأفادني المال وحدث أن ابتعت الطعام للشقة في طريق عودتي من العمل وكانت الآنسة ليندزي سعيدة بصحبتي مما سمح لها الاهتمام بالشقة بالنظافة والكنس والإنشغال عامةً بالبحث والحمل.

حضر والدي باكراً في صباح الأحد ومعه دجاجة كبيرة وبعض الفواكه والخضروات ألقى الدجاجة في المطبخ وأخبر الآنسة ليندزي أن كارمن تُسبب المشاكل وأنه ذهب لرؤية محاميه في قضية رعايته لكل أطفاله مستبعداً دينيس وذلك لعدم تبنيه لها فأتصل المحامي بوالدتي إلا أنها رفضت بشدة أن تسمح لجورج بحضانتنا. في الحقيقة هي قالت أن علي العودة في الحال لأنني في حضانة والدي بشكل غير قانوني وأنه إذا لم يُعدني إلى المنزل بنهاية الأسبوع فإنها ستبلغ الشرطة عنه بتهمة إختطاف طفل.

رفضتُ الذهاب وظن والدي أن كل ما تفعله والدتي حقيقةً هو الإنتفاع من كفالتي إذ أنها تتحصل على مبلغٍ مقدرٍ كل أسبوع لحضانتها لأطفال بريسكو الستة. وأنها ستخسر كل ذلك إذا حصل جورج على حضانتنا إلا أنه وبغض النظر عن ذلك، أين سيضعنا والدي جميعاً لو تحصّل على حضانتنا؟ من المؤكد ليس في طريق 215 كامبرويل الجديد وذلك لإكتظاظه بالمستأجرين وماذا عن طريق إيثنارد؟ ان صديقته لن تسمح له بذلك. أما طريق أوفلي فهو منطقة محظورة ولذلك توجب على والدي التفكير قليلاً بما سيفعل؟ وأعتقد أنه ربما يتوجب عليَّ العودة إلى المنزل وأننا سوف نجد حلاً لكل ذلك من هنالك ولكنني قررتُ أن أفضل البقاء في مكاني ولم يحاول والدي إجباري على العودة إلى المنزل. وأوضح بأنه يعتقد بأننا سنكون أفضل حالاً معه إلا أنه لا يعلم كيف سيتدبر ذلك الأمر.

بقيتُ مع الآنسة ليندزي وببداية فصل الخريف قررتُ أنه بمقدوري تدبر أمري من دون سترة جديدة إذ تكفيني التي أمتلكها كما كانت تنورتي جيدة أيضاً ولم يكن هنالك حوجة من وجهة نظري للذهاب إلى المنزل وإحضار أغراض للمدرسة ولم يعد لدي غير أيام قلائل قبل العودة إلى الآنسة "كي" ولو كان الأمر بيدي لما تحدثتُ إلى والدتي مجدداً أبداً كما تجاهلتُ رسائلها بالعودة إلى المنزل بواسطة والدي.

كانت باحة المدرسة في أول يوم مكتظة. وكان الطلاب الجدد يتجولون كالضفادع الصغيرة التي من دون أذيال وبدا جميعهم كأنما فقدوا نصفهم الأخر. وكما لم يبدو زملائي مألوفين أيضاً، بعضاً منهم لم أقابله مسبقاً والبعض الأخر كنت أومئ لهم مرحبة. وكان مفرحاً لي جداً أن البقية من فصلي لم يشعروا بالحوجة لشراء سترة جديدة أو تنورة أو قميص وعند التفكير في ذلك فالكل يبدون قذرين فمن المحتمل أن ذلك له علاقة بحقيقة أنهم يُعتبرون أذكياء لذلك لا

حاجة للتأنق بسترة جديدة شيء من الذكاء كان كافياً على عكس فصلي الدراسي السابق لم يكن هنالك عبث ولا قذف بألواح الطباشير أو محاولة إزعاج الفصل. فالطلاب هنا ليتعلموا فكلٍ منهم قد أنجز واجبه الصيفي.

وفي فترة الاستراحه كنت عاقدة العزم على إيجاد الآنسة "كي" بالطابق العلوي في مبناها اذ لم يُسجل حضورها ولم يك واضحاً مكان تواجدها ولم تك هنالك رسالة أو ملاحظة للطلاب. وكانت شعبة الاقتصاد والتجارة والطباعة مغلقة فحسب وكنت متأكدة لو أن الآنسة "كي" موجودة فستكون على اتصال بي الآن إذ أنها كانت بذلك اللطف فالسلوكيات الجيدة كانت مهمة لديها. وقفتُ خارج غرفة السيد تيمونس حتى لاحظ وجودي وفي مكتبه غمرتني رائحة طلاء الأرض والطاولات المصنوعة من خشب الصنوبر فأصبتُ بشيء من الدوار من استنشاقي ذلك وجلستُ وأوضحت له أنني أرغب فقط في معرفة متى ستعود الآنسة "كي" إلى المدرسة فأرسلني خارجاً من غرفته بعد ان قرصني في أذني ثم أخبرني بأن أهتم فعلياً بشأني الخاص وكان ذلك رهيباً.

وبعد الأسبوع الثالث لم أسمع شيئاً، ولو مجرد كلمة عن الآنسة "كي" ولم تكن هنالك وسيلة لمعرفة شيء كمالم أستطع ايجاد طريقي لمنزلها. فقد كانت المدرسة متحفظة نوعاً ما على الموضوع. وعند بداية الأسبوع الرابع قمت بسؤال أستاذة فن الطهو – والتي كانت حاضرة عندما رفضتُ العودة إلى المنزل العام المنصرم– اذا كانت هنالك أية أخبار عن الآنسة "كي" ربما كان بإمكانها إخباري إذا كانت الآنسة "كي" ستعود إلى المنزل إذ لا يمكنها هجري ببساطة. أعلمُ أنها لن تفعل ذلك أبداً.

أخذتني الآنسة جانباً وأوضحت لي أن الآنسة "كي" ليست على ما يرام، وليس واضحاً إذا كانت ستعود أبداً إلى المدرسة إذ ذهبت الآنسة "كي" إلى بولندا وبقيتُ هنالك لعدة أسابيع تقود في الأرجاء وتزور الأماكن المألوفة ومن

الواضح أنها دُعيت لزيارة بعض الأقارب. وعندما كانت عائدة علِقت سيارتها بين القضبان عند معبر وكان هنالك قطار آتٍ ولم يكن الوقت كافٍ لكبح الفرامل فأصطدم بسيارتها مباشرة، مسكينة الآنسة "كي" علِقت وكان تأثير الحادث من النوع الذي له أضراراً فادحة على قدميها وفعل الجراحون ما بإستطاعتهم ولكن في نهاية المطاف توجب بتر إحدى ساقيها وكانت الساق الأخرى في حالةٍ سيئة لدرجة أنهم قد يقومون ببترها هي أيضاً إذ لم يعد لها نفع لا لها ولا لأحد أخر ولكن الضرر النفسي كان كبيراً لدرجة خوفهم من عدم نجاتها في حالة بتر الساق الأخرى ولقد كتبت الآنسة "كي" بأنها ترغب في العودة إلى المدرسة حالما تستطيع ذلك ولكنها ليست بحالة جيدة في الوقت الحاضر للإعتناء بأحد ناهيك عن طفلة، هذا بيني وبينك هذا ما قالته الآنسة ومازالت الآنسة "كي" في بولندا ولكنها ستعود جواً إذ أصبحت قادرة على الترحال.

إنهمرت الدموع من عيني مبللة خدي من دون انتباهي ولم تتوقف، مسكينة آنيا، مسكينة الآنسة "كي" فقدت ساق ومن المحتمل أن تفقد الأخرى كيف هو شعورها الآن؟ لا أدري ولقد كُنتُ أتذمر وأشكو من قدري في حين فقدت هي ساقها. فأنهمرت الدموع على ظاهر يدي ومنها إلى ركبتي وأنا جالسة مع أستاذة فن الطهو على إحدى مقاعدها المرتفعة فسألتُها:

- "هل بولندا بعيدة؟"

فقالت الآنسة:

- "نعم، المسافة بعيدة"
- "كم يكلفني الذهاب إلى هناك؟"
- "أخشى أن يكلفك المال الكثير فلما لا تقومين بالدعاء فحسب للآنسة "كي" وتتمنين لها رحلة آمنة؟ إذا رغبتِ يمكنك الدعاء لساقها المتبقية إذ أني

متأكدة من أنها ستكون بمثابة راحة لها لو علِمت أنه بإمكانها الإحتفاظ بها ولو كُنتُ مكانك لركزت جهدي بالدعاء فالآنسة "كي" ستحتاج إلى كل الدعوات التي تتلقاها".

فقلتُ:

- "شكراً لك يا آنسة"

ذهبتُ إلى أعمال الخياطة والتطريز وأنا في حالة ذهول فالآنسة "كي" قد فقدت ساقها والآن قد تموت، بإمكاني الاعتناء بها عند عودتها إلى لندن، بلى، يمكنني ذلك بل بإمكاننا الاعتناء ببعضنا البعض كما في السابق. إعتقدت الآنسة جونز أن الغرزة التي أديتها لم تكن كما يجب فطلبت مني إعادتها أربع مرات حتى أحست بالرضاء.

وفي القداس قمنا بالدعاء جميعنا للآنسة "كي" حتى تستعيد عافيتها تماماً، ولكن القسيس أشار إلى أن لكلٍ منا مهمته على الأرض وأن لا نشكك في أقدار الرب، ومهما حدث فإن الآنسة "كي" ستظل صديقتي المقربة للأبد وأستاذتي المفضلة ثم كيف سيمر فصل الخريف من دون حضورها الذكي المبهج لقد إفتقدت حياتنا معاً.

بدأت بالإظلام باكراً وتلاشى الضوء وأثناء تحضيراتنا لعيد الميلاد لم أستطع إبعاد الآنسة "كي" عن تفكيري وعما تفعل؟ هل مازال لديها ساق واحدة؟ هل ما زالت تتذكرني وتتذكر أيامنا التي قضيناها معاً في شقتها؟ أرغب في إخبارها بأنني قد أعدتُ قراءة قصة الأميرة الصغيرة ولكنني أحس بالحزن في أعماق قلبي لأن الفرصة لن تسنح لي أبداً.

أصبحتُ متقهقرة أكثر في المدرسة، فإجتماع فقدان الآنسة "كي" وحياتي المنزلية المريعة قد أديا إلى بدء تساقط شعري وكان ذلك تدريجياً في البداية،

فكُنتُ أمشط شعري فيأتي مع المشط فأنظفه وأمشطه مجدداً فتتعلق به كتلة هائلة من الشعر وعندما أحاول تحرير المشط كان الشعر يتساقط بعيداً عن فروة رأسي، وأصبح في قمة رأسي رقعتين من الصلع فجربت الفرشاة. ولكن كان الحال كما هو فعندما أقوم بجذب شيء من الشعر بين أصابعي تبقى بين أصابعي مدة أطول مما كان بجانبي، جذبت الشعر من المشط والفرشاة ووضعته في جيبي وجلبت باروكة مايكل جاكسون ووضعتها على رقع الصلع ربما يحتاج شعري إلى غسلة؟ سأغسله الليلة ولكن الغسلة لن تخلق فرقاً فما زال شعري يتساقط فحاولت الهروب من الحاضر وعلاوة على ذلك فلقد قابلني والدي عند بوابة المدرسة وأخبرني أنه يتوجب علي العودة إلى المنزل وكان واضحاً في أنه أفضل خياراتي لمغادرة المنزل بشكلٍ دائم هو الذهاب إلى هناك لفترةٍ قصيرة، حقيقة لم أفهم ذلك ولكن أبي على دراية بما هو أفضل لي.

وبقلبٍ مثُقل قررتُ الذهاب إلى المنزل وكانت والدتي في غاية النشوة لرؤيتي وذلك نسبة لكل مهام ازالة الغبار والتنظيف والطبخ والغسل والكنس التي ستنجز، هي لم تنس تسكعي في أفضل سبعة أشهر كنت رافضةً فيها العودة إلى المنزل مع أناس من مكان إلى آخر يعلمون بشكل أفضل كيفية الإهتمام بي.

في أول ليلة لي في المنزل إستيقظتُ على صوت جلبة وأومض المنبه واخترقت الضوضاء عظامي وبدأ تبليلي للفراش مرة أخرى وكانت هنالك ضربة أخرى إذ تم نصح والدي بأنه ليس لديه الفرصة في حضانتنا ولا بنسبة واحد في المائة وذلك لأن السيدة كارمن بريسكو معروفة جداً للخدمات الاجتماعية فعندما تركها والدي لتطعم ستة أفواه لينفق مكسب المراهنات كما يتمنى عملت هي بجدٍ لتأمين سقفٍ فوق رؤوسنا ووضع طعام على طاولتنا كما كان لديها سجل ممتاز مع الخدمات الاجتماعية فلقد تبنت طفله مباشرة ومن

دون تردد من المستشفى وأخذتها معها إلى المنزل عندما كانت تبلغُ عدة أيام فقط وعاملتها كإبنتها وتبنتها رغماً عن المعارضة القوية من قبل زوجها ولم تتعرض دينيس أبداً للمشاكل ولا لشيء من الإساءة لقد كانت كارمن بريسكو أماً نموذجية أما بالنسبة لوالدي كما قال المحامي حسناً أين يقطن بالتحديد؟ وكيف سيرعى ستة أطفال لوحده؟ فهو لم يستمر في وظيفة قط منذ فوزه بالمراهنات وكما أنه لم يك عائلاً جيداً وكمثال على ذلك عندما حاولت كلير حجز مكان لها في منزل الأطفال إتصل ليقول بأنه أفضل شيء لها فكيف لوالدٍ غني مثله الموافقة على أن تذهب إبنته إلى منزل للأطفال؟ أي قاضٍ قد يرغب في إعطائه حق الحضانة لكل اولئك الأطفال؟ لقد أخبرت ماري بأنني أحسست كمن سيتخلي عنه نفسه.

الفصل التاسع عشر

عيد ميلادٍ آخر

1971

كان طابور الغداء المجاني لعيد الميلاد مغرياً على تناوله وقبل أن نتحصل على تذكرة السحب للغداء أُعطينا قبعات ورقية للبسها كما زُينت الصالة بشجرة عيد الميلاد والسلاسل الورقية وتحسباً لنفاذ الطعام توجب علينا التبكير إلى طابور الغداء وبما أنني لم آكل طوال اليوم فقد كنت أرغب في الإكثار من غداء عيد الميلاد.

التقطتُ طبقي ومسحتُ حافته بكمي ليبدو نظيفاً ولكنني لم أقتنع بذلك لذا بصقت عليه ومن ثم لمعته بكمي مرة أخرى فبدى بشكلٍ أفضل ولو كان الأمر بيدي لكدستُ الطعام عالياً على طبقي لدرجة تناثره من الحواف في حال عدم إحتراسي.

- "نعم من فضلك أيها الطباخ، نعم لهذا من فضلك نعم لذاك رجاءً، نعم من فضلك".

فقال الطباخ:

- "عليكِ بالتقليل".

ومن حيث كنت أقف في الطابور كانت أصناف الطعام المرصوصة هي البطاطا المحمصة والديك الرومي المشوي والجزر وبراعم حشو البروكسل وصلصة التوت البري، ومرق اللحم.

- "أه، نعم من فضلك أيها الطباخ، نعم رجاء، أجل من فضلك"

فملأتُ طبقي إلى أعلاه بالطعام حتى أنني أصبحتُ أتراجع ببطء شديد إلى طاولتي حيث توقفتُ مرتين تحسباً لتناثر الطعام من حافة الطبق ثم قمتُ بتثبيت يدي حتى وصلتُ إلى طاولتي من غير أن أهدر شيئاً منه وقمتُ بإلتهامه في صمت ثم عُدت للفطائر المحلاة وحلوى عيد الميلاد والكاسترد الأصفر والآيسكريم والكرز.

- "نعم من فضلك، نعم رجاءً، نعم فضلاً، لا للكرز"

فقال الطباخ:

- "هل أنتِ متأكدة ليس أمثالك ممن يرفضون الكرز".
- "لا، شكراً لك"
- "وماذا عن المزيد من الكاسترد؟"
- "أه، نعم رجاءً"

أكلتُ كثيراً حتى أني غفِلتُ عن جرس مغادرة صالة الطعام وحينما نهضتُ أصابتني تشجنات في معدتي ولم تحدث الكثيرمنها عند الظهيرة وفي لحظة ما حزمتُ أغراضي وذهبتُ إلى المنزل فلقد أكلتُ ما يكفيني لعدة أيام.

كانت أمي تتحضر لعيد الميلاد إذ ذهبت إلى السوق لتبتاع هدايا عيد الميلاد والطعام وفي صباح يوم أحد أيقظتني باكراً لإيجاد والدي كما تم إيقاظ كلٍ من باتسي وبولين.

- "أخبرنه بأن عيد الميلاد قد جاء وأنكن لن تأكلن الهواء النقي في يوم عيد الميلاد لذا عليه أن يجلب الطعام هنا اذا أراد إطعامكن.

ذهبنا جميعاً لمحطة البص واستقللناه إلى طريق إيثناردوكان ذلك قبل الساعة السابعة صباحاً وعندما وصلنا كان أبي ما يزال في الفراش فلم يسمح لنا بالدخول إلى غرفة نومه فأنتظرنا في غرفة الجلوس حتى استيقظ وهو لم يك

سعيداً لرؤيتنا ولكنه من ناحية أخرى كان يعلم أن لديه العديد من الواجبات الأبوية التي يتحتم عليه فعلها.

أوصلت له بولين رسالة والدتي فبدأ يغني:

- "أخبرا العجوز بأنه يمكنها الاعتماد علي".

ثم ترنم بها:

- "هل خذلتكم قط من قبل؟ هل فعلت؟"

لم نُجبه على ذلك فأصطحبنا إلى سوق حارة بيتيكوت وعندما أوقف السيارة طلب منا أن نبقى بالداخل فأنتظرنا عودته ونحن نُشاهد متسوقي عيد الميلاد وهم يهرعون بحثاً عن عروض عيد الميلاد فوصل أخيراً وهو يحملُ دجاجةً على كتفه وفي يده اليمني كيساً مليئاً بالطعام ثم أمسك الدجاجة من عنقها وطرحها في صندوق السيارة ووضع كيس الطعام بجانبها وفي طريق عودتنا إلى المنزل توقف عند متجر طعام آخر وخرج صاحب المتجر وسلم والدي كيس طعام آخر فحشاه أيضاً في الصندوق ووصلنا إلى المنزل قبل الساعة العاشرة وبينما كان والدي يُفرغ السيارة أحاط به كل من كرستين وكارل ومارتن ووقفت والدتي عند الباب الأمامي واضعة يديها على حقويها فقال والدي:

- "مرحباً أيتها العجوز"
- "هل تسوقت لعيد الميلاد أم أنك تدخر المال؟"

فقال والدي:

- "أمازلت مع ذلك الغبي؟" فتجاهلته والدتي.
- " أنت فتاة ساذجة يا كارمن ولكنكِ لا تحتاجين أن أخبركِ بذلك"

وفي نفس الوقت الذي وضع فيه والدي أخر الأكياس على الرصيف حركت والدتي يديها من فخذيها وطاردته عندما كان عائداً إلى السيارة وعند إمساكه لحزام الأمان وصلت والدتي إلى نافذة السائق ثم استدارت وقامت بركل السيارة بحذائها ذو الكعب العالي مسببة انبعاجاً كبيراً في ذلك الوقت كان جورج قد أدار زجاج النافذة للأعلى ولكن سرعان ما أداره للأسفل مرة أخرى فقط بالقدر الذي يمكنه من الصراخ علي والدتي.

- "أنتِ عجوزسخيفة يا كارمن، أنتِ وذلك الأحمق الذي معكِ يجب أن تعيشا بسعادة أكثر من أي وقتٍ مضى"ثم أدار زجاج النافذة للأعلى وأنطلق.

وأنا أُمسك بالدجاجة من رقبتها قالت:

- "خذيها إلى الداخل"

وفي يوم عيد الميلاد كان لدينا قدر كبير من الطعام لتناوله فأكل كل من آل بريسكو وآل ايستمان معاً في نفس الوقت وكان ذلك أفضل على هذا النحو وذلك لأن بإستطاعة آل ايستمان مشاركتنا في الطعام الذي إبتاعه والدي من دون أي سؤال ولأول مرة لم يك هنالك تساؤل عن كمية الطعام المسموح لنا بأكلها وذلك لمعرفة آل بريسكو من أين آتى الطعام.

أنهينا تناول الطعام في آخر الظهيرة وساعدت جميع بنات آل بريسكو في التنظيف في حين جلست بنات آل ايستمان لمشاهدة التلفاز وحالما أنهيتُ التنظيف ذهبتُ لتبديل ثوبي إذ حان موعد فتح هداياي وعلى الرغم من أنني كنت أذهب إلى اختصاصي الشعر مرة كل أسبوعين للمعالجة الخاصة إلا أن علاجه لم يجُد نفعاً وذلك لأن معظم رأسي مازال أصلعاً وبما أنني كنت أخفيه تحت باروكة مايكل جاكسون لم يك الخطب جلل ولكن سأجد العلاج عاجلاً أم أجلاً لمشكلة الصلع هذه.

وفي غرفة الجلوس في الطابق الأرضي تزاحم كلاً من آل بريسكو وآل ايستمان وكان الطفل ويستون ايستمان نائماً ففتحت نورما وسينثيا هداياهما وكانت دائماً هداياهم تفوق هدايانا وذلك لأن والدهما الأحمق كان دائماً ما يشتري لهم أكبر وأفضل من هدايا آل بريسكو وعند تفكيري في ذلك لا أذكر أنه ولو في مناسبة واحدة اشترى لنا هدية عيد ميلاد ولم يك قط يهتم لأمري وكان هذا مفهوماً بالنسبة إلي إذ كنت قضية خاسرة فلا شيء يفعله أبداً يجعلني أحبه.

وفي الجولة الأولى فتح آل ايستمان هداياهم بينما أنتظر آل بريسكو دورهم وفي الجولة الثانية أُعطينا الهدايا جميعاً والتي كانت كثيراً من الملابس الجديدة والعديد من الألعاب لكلتا العائلتين ففتحتُ هديتي وكانت الدمية دولي القديمة والتي بصراحة لم ألحظ فقدانها مرة أخرى ولكني ما زلت سعيدة لكوني استعدها أما الهدية الثانية والتي كانت بحجم غريب ومبطنة جيداً وغير محكمة الربط وحين أزلتُ عنها الغلاف تبين لي أنها قرصي ذو الرأس الدوار فشكرتُ والدتي على الهدايا وخططتُ وفكرت بإخفاء دولي فلا أريدها كهدية لي في السنة المقبلة.

وعندما فتح ايستمان هديته نظرتُ إلى الجانب الأخر فمجرد فكرة أخذ أحدهم وقتاً لإختيار هدية له شيء لا يمكنني فهمه ببساطة ومن المؤكد أنه سيكون أفضل حالاً مع كتاب بيتر وماري وأعطى هو والدتي سترة صوفية جميلة محاكة يدوياً ذات لونٍ زهري فاتح مع أزرار وردية وتوجد حول العنق ستة نقوش وردية صغيرة مخيطة بالسترة والتي تعطي انطباع بوجود وردة واحدة فقط وأُعطيت أيضاً املاح استحمام وطقم شاي صيني وقنينة ماء ساخن ومريلة جديدة وعطر وبودرة التلك ومرطب جسم مركز وزوج شباشب وأعطي الأولاد ألعاب قطار ومسدسات مع قبعات.

وانتهى عيد الميلاد فذهبتُ إلى غرفتي ووضعتُ دولي في قاع خزانتي وتركتُ القرص الدوار على الأرض فلكم لعبتُ به سنوات من قبل أن يفقد جاذبيته السحرية، سيكون هنالك شخص آخر ممتناً للعب به الآن.

الفصل العشرون

الوداع يا بيم

1972

في أول يوم فتحت فيه المدرسة طُلب مني أن أُقابل المسجل بشعبة الاقتصاد والتجارة والطباعة، فصعدتُ الدرج دون أن أتوقع ما سيحدث، ولم أعتقد أن واجباتي الدراسية المتعلقة بالفصل النهائي كانت متأخرة حيث سلمت كل كتبي المدرسية، وبحسب ما أذكر فإنني لم أفعل شيئاً سيئاً لذا طرقتُ الباب ودلفتُ، و كانت الآنسة "كي" هناك وهي جالسة في مكتبها فهتفتُ:

- "آنسة كي"

قالت:

- "هلمي يا كلير، هلمي واجلسي وأخبريني كيف حالك الآن؟"

ولكنني كنت أنظر تحت الطاولة وكانت الآنسة "كي" ترتدي بنطالاً وهذا ما لم تفعله من قبل طوال وجودها في مدرسة ساكرد هارت، حيث كانت من نوع المعلمات اللاتي يفضلن التنانير والأطقم، وكان البنطال أنيقاً ودقيق التفصيل، وعندما أمعنت النظر إلى ساقيها من تحت البنطال لاحظتُ أن إحداهن أكثر بدانة من الأخري، كما أنها كانت ترتدي أحذية غريبة إلا أن أحدها كان مألوفا، فقد رأيته من قبل في الشقة و كذلك عند ارتداءها له في المدرسة، أما الآخر فقد كان أشبه بالحذاء العسكري، فأعادت السؤال:

- "كيف حالك يا كلير؟"

قلتُ لها:

- "كيف حالك يا آنستي، آسفة لما سمعته عن ساقيك".

حدقت بي الآنسة "كي" لوقت طويل ثم سألتني مجدداً عن حالي فقلتُ:

- "أنا بخير، و بحال جيدة جداً يا آنستي، هل يمكن أن نذهب إلى المنزل الآن يا آنسة كي".

بدأت الآنسة "كي" تضحك وبعدها أجهشت بالبكاء ثم قالت:

- "لا"

مما أصابني بالاضطراب فاعتذرت لها طالبة عفوها إلا أنها لم تُجب، لذا تسللتُ خارج الغرفة و تمنيت حينها لو كان لدي عصا سحرية ألوح بها لجلب السعادة لكل الأطفال التعساء في العالم، إذ أنني طوال حياتي أبحث عن أحدٍ يهتم بي، فالأطفال من حقهم أن ينعموا بالسعادة وإلا فلماذا يولدون؟ ما المغزى من ذلك؟ فلو أنني متُ غداً لوددتُ أن يفتقدني أحدهم في هذا الكون هذا ما فكرتُ فيه، فينبغي منح الهدايا للأطفال مرتين في السنة و منحهم كذلك ملابس جديدة مرة في الشهر هذا ما قررته، بل و ما تحتمه الضرورة المطلقة أن يحظى كل طفل بفراشٍ جاف، أما الآباء الذين يضربون أطفالهم فيجب أن يحاسبوا، كما لا يحق للوالدين أن يسيئوا معاملة أطفالهم، ولكم رغبتُ بتذوق السعادة، ليست سعادة يوم بعد يوم وإنما سعادة كل يوم، وعندما تأتي السعادة إلي سأعلم بذلك، وأول ما سأفعله هو إغلاق منبه البلل في فراشي وبعدها سأضع كل الطعام في الثلاجة أو خزائن المطبخ وليس في غرفة نومي، وأخيراً عندما تطرق السعادة على بابي سأكون في الإنتظار وسأفتح الباب وأقول لها "أين كنتِ؟ ولماذا تأخرتِ؟ وإذا أمهلتني لحظة فقط فسأحزم أمتعتي وأذهب معكِ".

ولم يخطر ببالي قط أن الآنسة "كي" لا ترغب في عودتي مجدداً، وبعد أن فارقتها ذهبتُ إلى الحمامات وجلستُ في الحجيرة وأقدامي مرتفعة عن الأرض حذرا من أن يراني أحدهم من تحت الباب، حيث كان التغيب عن الدرس يُعد

جريمة، وبقيتُ هنالك لبرهة منهمكة في التفكير وبعدها ذهبتُ إلى الدرس التالي ولم تستطع الآنسة "كي" اللحاق بي وذلك لأنني غادرت مسرعة، وبديهياً لا تمكنها ساقها السليمة من اللحاق بي.

وعندما عدتُ في نهاية المطاف لغرفة الدراسة كانت تنتظرني بالخارج وكان يبدو عليها التعب، طلبت مني اللحاق بها ففعلتُ فقامت بدفع ساقها السليمة وسحبها أسفل الممر وعندما انعطفنا إلى اليمين لنشق طريقنا صعوداً عبر الدرج اتضح تماما لماذا رغبت عني، حيث رفعت حذاءها الشبيه بالحذاء العسكري على الدرج ثم ضربت عليه بظاهر يدها مهمهمة بالشتائم ثم سحبت ساقها السليمة وقفزت بالأخرى قليلاً للأعلى بعدها تأرجحت القدم ذات الحذاء العسكري متحركة وحطت أمامها وباستخدام عصاها وضعت ثقلها على الحذاء العسكري تاركة ساقها السليمة تتأرجح أمامها وأثناء حركتها كانت تعتصر عينيها قطبت جبينها – لابد وأن الآلم كان مبرحاً– وأخيراً وصلنا إلى مكتبها.

دعتني للدخول وأتكأت على الجدار وأرجحت حذائها ذات العنق العالي من أمامها، مسكينة الآنسة "كي" لم تكن على ما يرام قط. وبأقوى لكنة بولنديةلم أسمعها تستخدمها قط من قبل قالت:

- "يا كلير إنها لقمة السعادة إذاعدنا كما كنا من قبل إلا أنني غير قادرة على الإعتناء بك، أنظري إليّ يا طفلة أترين؟"

ثم أنحنت ورفعت بنطالها عالياً وكانت نصف ساقها السفلى تبدو كساق إحدى دمى العرض في محل روزس فقالت:

- "أترين؟ إنها جوفاء، ساق عديمة الفائدة لا تصلح لشيء"

ثم انحنت وفكت رباط ساقها ورفعتها وهي توازن جسدها بالحائط.

- "كيف يمكنني الإعتناء بكِ؟ لقد خذلتك يا كلير وخذلتُ نفسي"

وأثناء نضال الآنسة "كي" لإعادة وضع ساقها ذهبتُ إليها وساعدتها لوضع جذعها في الساق الصناعية ورفعتُ بنطالها للأعلى وقمنا بربطها معاً فألقت الآنسة "كي" رأسها للخلف بإتجاه الحائط وأجهشت بالبكاء.

- "بلى خذلتك يا كلير، كيف ستتدبرين أمرك الآن؟ الا تعتقدين بأنني قد صليتُ كل يوم؟ بلى أتمنى لو أن هذا لم يحدث وبالطبع لو كان بمقدوري إعادة الزمن لفعت ولكني نجوت بحياتي من معسكر الإعتقال فلربما كان ذلك مقدراً".

واصلت الآنسة "كي" بكاءها وسحبت انا بنطالها للأسفل ليغطي جذائها ذا العنق العالي وقُلتُ بلطف:

- "لما لا تجلسين يا آنستي؟"

ووضعتُ كرسي بجانبها فجلست عليه وأخبرتني وهي تذرف الدمع:

- "إنني لا أعلم حتى أين سأقيم؟ فأنا لا أستطيع تدبر أمر السلالم مما يتوجب علي إيجاد شقة بالطابق الأرضي"

قُلتُ لها:

- "يمكنني مساعدتك يا آنستي فلقد كنتِ لطيفة معي، بإمكاني المساعدة يا آنسة وجدتها! يمكننا مساعدة بعضنا البعض، سأكون مساعدتكِ وتكونين أنتِ معلمتي ونستطيع تدبر أمرنا"

ولكن مجدداً بدأت الآنسة "كي" تضحك ثم أجهشت بالبكاء:

- "أنتِ مليئة بالحياة يا كلير وكنت سأرغب جداً في أن تعيشي معي إلا أنني معاقة وأنتِ بدات حياتك للتو فلابد لكِ من المضي قدماً ونسياني يا كلير"

ثم أجهشت الآنسة بالبكاء وفعلتُ مثلها وأصبح من الواضح لكلينا اننا لا نستطيع الاستمرار كما كنا من قبل إلا أنني مازلتُ أرغب في المحاولة فقلتُ لها والدموع تتساقط على خديّ:

- "لكني يا آنسة أستطيع الاهتمام بكِ فبإمكاني طبخ الدجاج والبطاطس والأرز والبازلاء والجزر كما أنني احسن النظافه آنستي وأعلم كيف أغسل وأتسوق سنكون بخير آنستي سأكون هادئة لدرجة أنك لن تعلمي حتى بوجودي وكل ما يتوجب عليك فعله هو مناداتي آنستي وساكون هناك"

اختلط سيلان أنفها مع ذرف دموعها لتنطلق فقاعة كبيرة بما يكفي لأن تزيحها بأظافرها مستخدمة ظاهر يدها لتمسحت بها أنفها ثم مسحت يدها على بنطالها الضيق ذي اللون الأزرق البحري وقالت:

- "أعلم يا كلير ولكن لماذا تقايضين مسيئة (استغلالية أطفال) بأخرى في حال يمكنك أن تكوني حرة؟"

وفي المنزل بعد المدرسة أثار إيستمان غضبي إذ أصبحت سينثيا شقية جداً تقع في المشاكل مع والدتي ولإحتواء الموقف وتشتيت الإنتباه بعيداً عن سينثيا كان إيستمان يفتعل شجاراً معي فكان يتعمد الإصطدام بي وأنا في الدرج خارج غرفة نومي ومرة أخرى حين أغلقتُ الباب قام بفتحه ونادني بالحقيرة السوداء وعندما ذهبتُ إلى الحمام وعُدت كان بإنتظاري على الدرج وسألني لماذا أذهب إلى الحمام وبإستطاعتي التبول على الفراش بكل بساطه فكان ذلك كثيراً مما جعلني افقد أعصابي أخيراً وكان يوماً كالجحيم إذ مازلت أعاني من الدواربعد لقائي بالآنسة "كي" فاعترض إيستمان طريقي فأنقضضت عليه عن قصد وكنت على السلالم التي توصلني إلى الطابق العلوي فركلني إيستمان من على السلالم مستخدماً مرفقه فألتفت ولكمته فقام هو بإمساكي من عنقي وكنت قد شاهدت بيق

دادي وجاينت هايستاكس بالمصارعة الأسبوع المنصرم على التلفاز في برنامج عالم الرياضة مع ديكي دايفس – وكان لدى ديكي خُصل من الشعر ملونه – وكنت قد تعلمتُ كيفية تنفيذ الخطأ.

وفجأة أمسكتُ إيستمان من بين ساقيه بكلتا يداي وجذبته بقوة ولم أك متأكدة بما أمسكتُ وذلك للبسه ملابس داخلية إلا أنه ألقاني على السلالم مجدداً وأنا ما أزال ممسكة به وظهري على السلالم فرفعتُ كلتا قدمي على ركبتيه وجذبتُ بقوة ومعدلة ركبتي لكي احصل علي مزيد من قوة الرفع فصرخ إيستمان ووصل كل من والدتي وبيم في الوقت ذاته ليشاهدوا ما يحدث وكان من المحال على إيستمان الوصول إلي فكلما حاول ذلك عدّلتُ ساقي وجذبتُ بقوة بكلتا يديّ مما جعله يترنح إلى الخلف من الألم.

- "يا سيدي المسيح، كارمن أوقفيها أنظري إنها تمسك بعضوي بيدها، سيدي المسيح، كارمن إنها تؤذيني".

حاولت والدتي ضربي خلف ركبتي حتى تجبرني على ثنيهما إلا أنني أمسكت بقوة وجذبتُ ذلك الجزء بيدي.

- "يا سيدي المسيح، كارمن هل ترين عضوي؟ أين ذهب؟ كلير مزقته"

كان بيم واقفاً في أعلى السلالم وكان مرتعشاً كالهلام إلا أنه تمكن من التحدث

- "إيستمان هو من بدأ يا كارمن، هو من ضرب كلير أولاً لقد رأيته وهو يفعل ذلك"

ومازالت والدتي تحاول ضربي تحت ركبتي ولكن ذلك لم ينجح وكان إيستمان يتلوى من الآلم فأمرتني والدتي:

- "دعيه"
- "لماذا أفعل؟ هو من بدأ ذلك"

فوضعت والدتي يدها على يديّ وغرزت أظافرها فصرخ إيستمان من الالم لأنها غرزت أظافرها في عضوه الذي كنت أمسك به ثم بدأت حلقة من الدماء تظهر على ملابسه الداخلية فصرخ بيم وأخذ يرتجف بذات الوقت:

- "ستقتلان الطفلة كلاكما دعاها وشأنها، يا كارمن إيستمان هو من بدأ الأمر لقد رأيته"

وأثناء إمساك إيستمان بالحاجز مازالت والدتي تحاول ضربي على ركبتي وفي مرحلة ما إنزلقت إحدى قدميي فأعتقدتُ بأني قد خلعتُ عضوه فأقتنصت والدتي الفرصة وحالت بيننا فتقهقرت إلى الأعلى.

فناداني بيم:

- "يا كلير هلمي، يا كلير هلمي معي"

وعند أعلى الدرج دفعني بيم إلى أعلى السلالم وأخبرني بأن أدلف إلى غرفته فدلفتُ ثم أغلق بابه وبقينا كذلك لبقية الليل ورفض أن يفتح الباب مطلقا وعندما لحقت بي والدتي وطرق إيستمان على الباب مرارا إلا أن بيم أخبره بأنني نائمة وأن عليه العودة في الصباح ولاحقاً عندما طرقت والدتي على الباب قوبلت بالصمت إذ تظاهرنا بالنوم، إن علم بيم بالمشكلة التي زج فيها نفسه لحمايتي لما كان أزعج نفسه فما مر من الأحداث كان كارثيا له.

ولعدة أيام ظل إيستمان بعيداً عن طريقي كما لم تتحدث إلي والدتي وبالرغم من أننا نقطن في ذات المنزل لم يكن من الصعب تجنب بعضنا البعض أما بيم وبسبب رعاشه فقد إنطوى على نفسه إلا أنه ذات يوم أحد قرر أن ينزل إلى الطابق الأرضي ليسألني المساعدة بأن أحلق له وأستغرق منه النزول من المجموعة الأولى من السلالم وقتاً طويلاً وفي الوقت الذي شق فيه طريقه الي

مجموعة السلالم الثانية كان إيستمان صاعداً من المطبخ فأشار إلى بيم بأصبعه المعوج:

- "أنت أيها الأحمق قُلت أنني كاذب".

واصل بيم نزوله السلالم ففتحتُ باب غرفة نومي لأستمع الي الحوار فقال بيم:

- "ما خطبك يا إيستمان؟"

فردد إيستمان:

- "أنت أيها الأحمق لقد قلت بأنني هاجمت كلير هل رأيتني أهاجمها؟ هل رأيتني ألمسها؟ هل أثرت رعشاتك اللعينة على عقلك اللعين؟"

ولكنه لم يتلق جواباً وواصل بيم نزولاًالسلالم.

- "هيه، أنت أنا أتحدث إليك"

كان إيستمان مواجها لبيم الذي كان لديه خمس درجات أخرى ليتخطاها وكانت يده اليسرى على الحاجز واليمنى على الحائط للحفاظ على توازنه فقال له إيستمان وقد أمسك بقدمه وجذبها ليفقده توازنه وبيم يحاول التشبث إلا أنه حط على ظهره في السلالم وإيستمان يجذب قدمه:

- "هل سمعتني؟"

فذهبتُ إلى الدرج ورأيتُ إيستمان يحاول سحب بيم نزولاً الي السلالم وبدى وكان بيم إنتابته نوبة فكان إرتعاشه خارجاً عن السيطرة وقال إيستمان:

- "أنت طفيلي لعين تقطنُ هنا من دون إيجار وتتهمنى بالكذب".

وأنتابت بيم النوبة وهو ملقاً على ظهره وإيستمان الغبي لم يهتم مطلقاً فركضتُ قافزة وحططتُ على ظهر إيستمان وبدأتُ ألكمه على رأسه وأجذب أهدابه وهو يسحب ساق بيم وقُلت:

- "أسرع يا بيم، عد إلى الأعلى"

فقال إيستمان:

- "إنتظر، من هذا الشخص على ظهري؟"

قلتُ:

- "أسرع يا بيم، أذهب"

رفض إيستمان تحرير ساق بيم وأستطاع سحبه إلى أسفل السلالم فأدخلتُ أصابعي في عيني إيستمان وجذبتُ أذنيه لكي يدع بيم وشأنه كما ضغطتُ بركبتي على ظهره ثم أمسكت به ولكمته مرتين على عنقه – كانت تلك حركة رأيتها في التلفاز حين تصارع جاينت هايستاكس مع مصارع غير معروف – ثم استخدمت مرفقي الأخر لضربه على عنقه – أفقد جاينتس هايستاكس خصمه الوعي بوكزة واحدة من مرفقه – إلا أن إيستمان لم يفقد وعيه.

وصرخت:

- "أسرع يا بيم، تحرك"

لكن ظل جاثما على ظهره فهرعت بولين وباتسي إلى الطابق الأرضي ورارياني على ظهر إيستمان ألكمه على جانب رأسه فناديا على والدتي التي وصلت ومعها حزام لكنها لم تتورط معي وإيستمان فقالت:

- "أنزلي عن ظهره"

فتجاهلتها وتشبثت بإحكام وضربته عدة مرات أخرى على رأسه بعدها إنحنى إلى الأمام فأنزلقتُ من فوق رأسه على الأرض بعد ذلك قام برفع قدمه الضخمة ووضعها على بطني وقال:

- "إنه أنت دائماً، أنتِ، أنتِ، أنت دائماً ما تثيرين أعصابي وتسببين لي المشاكل، لا يمكن أن يكون أحداً سواكِ".

وركلني على بطني فسحبته والدتي بعيداً وذكرته بأن لديه سابقة بالإعتداء علي. وساعد جميع الأطفال بيم على الوقوف وحالما وقف على قدميه اشتكى لوالدتي قائلاً أن إيستمان أصبح خارجاً عن السيطرة وأنه قام بمهاجمته من دون سبب وجيه فأستمعت والدتي وسألت إيستمان ماذا لديه ليقوله فأنكر مهاجمته لبيم ولذلك بدأت بالصياح بأنه قد ذلك فعل وأنني قد رأيته.

كان بيم يبكي ويرتعش وهو يواجه إيستمان وأخبر إيستمان بأنه ليس والدي وأنه ليس لديه الحق بمهاجمتي وهذا بحسب اعتقاده كما أن إيستمان قد هاجمني أكثر من مرة خلال السنوات الماضيه وأتهم والدتي بالهجوم علي وعدم فعلها الكثير لحمايتي ولم يستطع كل من إيستمان ووالدتي تصديق ما سمعت أذناهما فبيم، بيم الهادئ قرر الخروج اخيرا عن صمته والنطق بما رأه بأنه سلوك غير مقبول.

وعندما فرغ بيم من حديثه نظرت والدتي إلى إيستمان الذي كان مازال على الدرج ثم نظر كلاهما نحوي ومن ثم إلى بعضهما البعض وكانت والدتي أول من تحدث:

- "إن كان هذا ما تشعر به فمن الأفضل عليك المغادرة"

وقال إيستمان:

- "من الأفضل لك الإسراع قبل أن أفقد أعصابي معك"

كان بيم ما يزال يرتعش فساعدته خطوة تلو الأخرى إلى غرفة نومه وأخبرته بعدم الاهتمام بهما وأنها لا تعني ما قالته وكان بيم مرتعشاً جداً مما توجب عليه تناول قرص دواء وهو جالس بغرفة نومه، نادتني والدتي وطالبتني

بالتوجه لغرفتي فأعترضت إذ أنني كنت أساعد بيم فطلبت مني بعبارات قاسية أن أذهب إلى غرفة نومي فتجاوزتها على الدرج وأنا ذاهبة فذهبت هي وعشيقها الغبي إلى الطابق الأرضي ولم يحاول إيستمان أو والدتي النيل مني وعندما سمعتُ بابهما يُغلق عُدتُ إلى الأعلى لرؤية بيم الذي كان لايزال جالساً على فراشه وهو يبكي فأحطه بساعديّ وكان ساق سرواله الأيسر مسحوباً لأعلى ركبته والدماء تسيل من قصبة ساقه فساعدتُه على تنظيفها وتمدد هو على فراشه وقد توقف عن البكاء وكنت جالسة على الأرض. كان بيم رجلاً لطيفاً لم يُسء قط لوالدّي ولقد مر بكل تلك الأحداث وشهد عليها برغماً عن أنه لم يتحدث عنها قط والآن من دون جميع الناس قام إيستمان بسحبه لأسفل السلالم وأذآه لذا لابد أن يدفع إيستمان ثمن ذلك لقد كنت أكيدة من ذلك.

صباح اليوم التالي صحوتُ على صياح والدتي على بيم إذ قالت أنها ستخرج قريباً وعند عودتها ينبغي عليه أن يكون قد غادر منزلها فهي لا ترغب في لقائه في الشارع ولكن عند الضرورة ستفعل فأخبرت بيم عدم القلق إلا أنه كان قد إكتفى فقد بلغ به الاذلال ذروته حيث هاجمه إيستمان ولم يكن قادراً على الدفاع عن نفسه.

حزم بيم أغراضه وأرتدى بدلته الصوفية وقبعته البولينغثم جلس على فراشه وأنتظر كما طلب مني الذهاب لإيجاد أبي وإخباره بما حدث وعندما فعلتُ قادني جورج عائداً إلى ميدان 19 صاذرلاند حيث كان بيم مايزال جالساً على فراشه بقبعته البولينغ فصعدتُ السلالم وأخبرته بأن جورج بالخارج فحمل حقيبته وسألني إذا كان قد ترك ماكينة حلاقته فأخبرته بأنه لم يفعل فشق طريقه نزولاً السلالم وحقيبته بيده وحالما وصل إلى الطابق الأرضي طرق على باب غرفة جلوس والدتي ودلف فوقفتُ عند المدخل أرتعش. نزع بيم مفتاحه من حلقة المفاتيح المربوطة بحلقة في حزام بنطاله وسلمه لها إلا أنها تجاهلته

ونظرت بالإتجاه الآخر فأسقطه بحجرها وشكرها على الإعتناء به و على المكانه التى حظى بها طوال تلك السنين ورفع قبعته محييا لها وخرج متثاقلاً من المنزل إلى سيارة أبي ولم أساعده بحمل حقيبته وكانت عيناه مبللتان بالدموع إلا أن كرامته ظلت مصونه فلقد كان يرغب في أن يكون مستقلاً وترجل والدي من مقعد السائق ومشى خلف السيارة وأغلق باب الراكب وأنطلقا وكانت هذه أخر مرة أرى فيها بيم إذ لم يتخط قط صدمة طرده ومات بعد فترة غير وجيزه في مستشفى مودسلي.

توصلتُ والآنسة "كي" إلى اتفاق إذ كانت دائماً ما تنصحني وتخبرني بأنه ينبغي علي قضاء وقت أطول بفرضي الفصلي وكنت من جهة أخرى أذهب إلى المدرسة مبكرة لرؤيتها في شعبة الاقتصاد والتجارة والطباعة وكنت دائماً ما أتفقدها عند نهاية كل يوم لأتاكد بأنها تتدبر أمرها وأساعدها متي إحتاجت ذلك.

وذات صباح يوم إثنين وصلتُ إلى المدرسة باكراً وذهبتُ لرؤيتها ولكنها لم تكن بمكتبها وكانت الشعبة مغلقة وأخذ معلم أخر مسئولية ترتيب الفصول البديلة ولم تعد الآنسة "كي" خلال ذلك الأسبوع وفي الأسبوع التالي تم إعلامنا في قداس يوم الجمعة بأن الآنسة "كي" قد حصلت لها مضاعفات في ساقها السليمه وأنها ستحتاج إلى دعواتنا فدعوت لها ولساقها بشدة وكنت أعلم أنها صاحبة كبرياء وأنها لا تحتاج أو تطلب منا أن ندعو لها لكنني مع ذلك دعوتُ لها.

وفي الأسبوع الذي تلاه أخبرنا القسيس بأن ساق الآنسة "كي" قد تم بترها وأنها ستحتاج إلى دعواتنا المتواصلة لشفائها ولم يتحدث عنها أحد قط بعد ذلك ما عدا عند دعوات الجمعة ولم أر الآنسة "كي" مجدداً.

وفي منتصف الفصل الدراسي تم إخبارنا في الطابور بأن الآنسة "كي" لن تعود إلى المدرسة إلا أن أفكارنا ودعواتنا ستكون دائماً معها ولم تتصل بي مطلقاً

ولم أتوقع منها أن تفعل ذلك إذ لديها معاناتها (مشاكلها) التي يتوجب عليها محاربتها بطريقتها ووقتها الخاصين بها وكان أخر شيء يخطر ببالي إحساسها بأنها قد خذلتني عندما منحتني ذلك الأمل حيث أشعرتني الآنسة "كي" بأن كل شيء ممكن وكل ما علي فعله هو أن أقرر ما أرغب به وأن أسعى لنيله وكنت عازمة بشدة أن أفعل ذلك تماماً وفي نهاية المطاف توقف القسيس عن ذكرها في دعواته.

وفي يوم سبت ببداية الصيف طلبت مني والدتي الذهاب معها إلى مركز التسوق عند إيلفنت وكاسل وكان ذلك غير مألوفاً ولكنها كانت في حاجه إلى أيادي إضافية وبسبب وظيفتي في محل روزس لم أكن متفرغه أبداً يوم السبت ولكن اليوم يتوجب علي الذهاب وكان من الواضح أن هنالك كشكاً صغيرا جديداً يبيع الطعام بسعرٍ زهيدٍ جداً فكان يستحق زيارته فأستعدت وأفرغت عربة التسوق التي كانت تحفظها خلف المنزل بين معروضات التسوق وكانت ماتزال تحوي مجموعة من أكياس الورق البنية والصح. في الطريق إلى هنالك سرتُ خلفها إذ لم أرغب في مضايقة والدتي بأية حال من الأحوال وكان هنالك دائماً احتمال بعيد بأنها قد تبتاع لي بعض الملابس الجديدة كنوع من الكرم الغامر. وفي سوق إيست إستريت إستقللنا البص رقم 40 الذي يبعد فقط أربع محطات عن المنعطف عند إيلفانت وكاسل ولقد كان مركز التسوق في الجزيرة المركزية وبتتبع اللافتات عبرنا نفق المشأة وكان المحل الجديد في الطابق الأول وكان يجلس على كرسي خارج المحل رجل أبيض قصير القامه وكان نحيلاً جداً وجلده الذي على عظامه كان معلقاً كطبقات من العسل المتقطر من ملعقة كما كان له أنف كبير منتفخ ذو مسامات كثيرة مفتوحة وبشرة ذات نسيج رملي مشابه لورق السنفرة الخشن وقبعة بنية ناعمة جاثمة على أذنيه ذات حافة عريضة وريشة بارزة من شريط القبعة إلى اليسار ويرتدي حزام أسود مهترئ مثبتاً بنطاله الفضفاض معطياً انطباعاً بأن لا صدر له مما يجعله يبدو

ذلك أقصر وبالرغم من ضآلته إلا أن لديه أيادي ضخمة يقوم بعد النقود بها لزبائنه وكان المحل مزدحماً بالبشر.

السكر والفاصولياء المعلبة وسمك الساردين ورقائق الكورن فليكس جميعها مكدسة عالياً فوق الأرضية وعلب الساردين مبعثرة داخل حوض حديدي كبير والأرز في أكياس من الخيش ويمكنها الحصول على أي كم ترغب فيه طالما انها تستطيع دفع الثمن ولم يكن هنالك أحدٌ يساعد الرجل الضئيل فلقد كان سريعاً إذ أنه أثناء قيامه بدفع المال لأحد الزبائن يكون مشغولاً بسؤال الأخرى في الصف ماذا تريد.

وعندما حان دور والدتي عددت الأشياء التي تريدها فكدسهم لها في عربتها بسرعة البرق وفي الوقت الذي إمتلأت فيه العربة كان هنالك المزيد من الأشياء لنبتاعها لابد وأنها ستوضع في الكيس المقوي الذي أعطتني إياه والدتي سابقاً، أخذ الرجل الضئيل الكيس مني ووضع الطعام بداخله وعندما أعاده إليّ كان ممتلئاً جداً لدرجة عدم إلتقاء المقبضين عند المنتصف فدفعت له والدتي الثمن وغادرنا المحل وكانت سعيدة لأنها قد وفرت الكثير من النقود بعد النظر إلى حافظتها.

وبعودتنا الي النفق في طريقنا إلى موقف البص بدأ الكيس يثقل شيئاً فشئياً وأنا أجتهد في حمله وأصبحت والدتي أقل صبراً حيث قالت لي بأنني دوماً مخيبة للآمال فتوقفت عن سحب عربتها وبدأت بالصراخ علي وأصبحت أكثر خصوصية حين ذكرت تبليلي للفراش في منتصف النفق وعند تلك النقطة وضعتُ الكيس أرضاً حيث كانت فرصة جيدة لإراحة يديّ وأثناء مرور الرجال والسيدات بنا في طريقهم لأعمالهم استمرت والدتي قي الصياح قائلة بأن السبب الوحيد لطلبها مني الذهاب معها ليس لأنها تحبني –كلا، لا ينبغي فهم الامر كذلك فهذا نظرخاطئ– إذ أن السبب هو حوجتها لأحدهم لحمل أغراض التسوق

فأنظري إلى ما قد حدث! لم أستطع حتى فعل ذلك وكنت بلا فائدة تماماً بل أسوأ من ذلك هذا ما قالته وهي متحركة سريعاً بعربتها فحملتُ كيس الأغراض مجدداً ثم حاولت تتبعها وكنت أبلي حسناً هذا ما أعتقدته إلى أن وصلتُ إلى المخرج المتحدر حيث تعثرتُ فسقطت بعض الأغراض وتدحرجت ثلاث علب من أمامي بإتجاه والدتي فأدركت ما حدث ووقفت مكانها على الرصيف فأستدركتُ الأمر وبدأتُ التقط العلب واحدة تلو الأخري وكانت الأخيرة ترقد تماماً بجانب قدمي والدتي وعند إنحنائي لإلتقاطها إنقضت علي بيدها وأزاحت باروكة مايكل جاكسون عن رأسي في وضح النهار فوقفتُ صلعاء:

- "أنظري إلى أنفك أيتها الحقيرة اللعينة وعديمة الفائدة، أنفك هذا بالتأكيد لم تحصلي عليه من جانب عائلتي".

ثم قلبت الباروكة رأساً على عقب مما كشف شبكتها الداخلية ثم طوتها حتى أصبحت ككرة صغيرة ووضعتها في جيبها وبدأ الناس في النظر إلي إذ كان رأسي الأصلع من دون شك مختلفاً وسأكون أول من يوافق على أنني أبدو أفضل وأنا أعتمر الباروكة إلا أن ذلك لم يك عذراً فلقد كان من الوقاحة التحديق فيي، ألم يروا قط طفلة صلعاء من قبل؟ وبأية حال لم أك صلعاء تماماً حيث كانت هنالك بعض من خصل الشعر على فروة رأسي إلا أنه لم يك كافياً ليُذكر. وبرفعي للفاصولياء المعلبة تلقائياً قمت بتغطية رأسي بأسفل ساعدي حتى غدت العلبة التي بيدي اليمنى فوق أذني اليسرى ولم يك ذلك كافياً لأيقاف الناس عن النظر إلي، ورغماً عن كون والدتي جذابة جداً وذات شعر مكتمل إلا أنه بوجود طفلة مسخة صلعاء معها لابد وأن ذلك أشعرهم بالأسف عليها فكيف لإمرأة جذابة مثلها أن تنجب مسخاً مثلي؟ يمكنك رؤية ذلك على وجوههم وهم يسيرون بقربي مغطين أفواههم بأيديهم ومن ثم النظر ثانية من مسافة آمنة وأنا

ما أزال متشبثة بعلبة الفاصولياء عدتُ إلى كيس التسوق عند قمة المنحدر ووضعتها مع بقية حمولتي وعُدتُ إلى والدتي وسألتُها:

- "ما هو رقم البص؟"

ولم تجبني والدتي لبرهة معتقدة أنني سأطلب باروكتي منها إلا أنني لم أفعل فتجاهلتني وتتبعت محطة البص وأنا أجتهد في حمل الكيس وعند المحطة استمر الناس في التحديق فيي إلا أنني أحس الآن بأسفهم نحوي فلابد وأن بي خطبٌ ما وإلا لما كنت صلعاء كما كان الكيس يبدو ثقيلاً جداً علي والسيدة التي معي تسحب عربة وهي تبدو غير مهتمة.

وغير مدركة لنظرات الشفقة التي نلتها طلبت مني والدتي الوقوف بجانبها بدلاً عن خلفها ففعلتُ إلا أن النظرات استمرت وكان متأخراً جداً على والدتي أن تخُرج الباروكة من جيبها وتُعيدها إلى رأسي ولذلك سألتني إذا كنت أحس بالبرد وربتت فوق رأسي مرتين لتبدي تفهمها.

وحالما وصل البص أفسح لنا طابور الناس الطريق إما بدافع من الشفقة أو أنهم لا يرغبون بالنظر إلى صلعاء وأثناء رحلتنا وبالرغم من إزدحام البص لم يشغل أحد المقعدين الشاغرين بجانبي وكانت والدتي تنظر بثبات من خلال النافذة وبوجهها نظرة تساؤل وكأنها تحاول جاهدة التأكد من أن البص يتجه صوب مساره الصحيح.

وأخيراً عندما وصلنا إلى ميدان صذرلاند ذهبت إلى غرفتها لتبدل ملابسها وتركتني لأفرغ الطعام فناديتُ على بولين وباتسي بالنزول لمساعدتي ولم تنطق بولين بكلمة مطلقاً عن رأسي الأصلع إلا أن باتسي ضحكت وفي ذلك اليوم لاحقا طلبت والدتي من إيستمان أن يتخلص من الباروكة فرماها في صندوق القمامة وعندها ذهبت لاستعادتها سريعاً وغسلتها وبعد ذلك اليوم استخدمتُ دبابيس قبعة كبيرة لتثبيتها فوق رأسي.

إنتقل إيستمان بعد عدة أسابيع،لقد اختفى فجأة بمنتصف الليل ولم يُنطق بكلمة عن اختفائه ولم أطمئن عليه حتى لا يتشجع بأي حالٍ من الأحوال ويعود وخلال ذلك الوقت تحسنت علاقة آل بريسكو وآل إيستمان فكان هنالك الكثير منا آل بريسكو دونهم فعندما نخرج إيستمان من المعادلة فإن بإستطاعتنا هزيمتهم. وذات نهار عُدتُ من المدرسة لأجده قد عاد وكان في غرفة والدتي إذ سمعت صوته وبقي هنالك لبضعٍ ساعات وحينما قرر الذهاب أخذ معه ثلاث حقائب كبيرةففرحتُ بذهابه وأعتقدتُ بأننا لن نراه مرة أخرى إلا أن أغلب أوقات الظهيرة كان يأتي ويبقى متأخراً وبعدها يغادر.

وبعد أسبوعين أو ثلاثة من مغادرته تسللتُ إلى غرفة والدتي الأمامية وكانت فارغة نسبياً وكانت أغلب ممتلكاتها الشخصية مفقودة وكان هنالك العديد من صناديق الكرتون فوق الطاولة الزجاجية أمام خزانة العرض، والدتي كانت بصدد الإنتقال إلا أنها لم تذكر لي شيئاً وعندما أخبرت بولين بإكتشافي للامر قالت بأنني أتوهم إلا أنه خلال يومين لاحقين في إجازة نصف فصلنا الدراسي توقفت شاحنة أمام منزلنا وخرج رجل من الشاحنة وطرق الباب فأرشدته والدتي لداخل الغرفة وكان إيستمان راكبا في الشاحنة فخطى على الرصيف عندما فتحت الأبواب الخلفية معاً هو والسائق وساعدوا والدتي في وضع الصناديق بالشاحنة بعدها إنطلق السائق ثم عاد مرتين علي الاقل وفي المرة الثالثة أفرغت والدتي غرفتها الأمامية ثم نادت إليها آل إيستمان فركضت سينثيا ونورما نزولاً السلالم إليها وصعدتا بمقدمة الشاحنة أما جينا ووينستون فقد ذهبا باكراً مع إيستمان وأثناء وضعها لحزام الشاحنة صاحت على كارل ومارتن وبيوتي ودينيس بأن يستعدوا للذهاب معها وقالت أنها ستعود بعد حوالي ساعة. في الحقيقة مرت أكثر من ساعتين و قبل أن تعود والدتي لتذهب إلى المطبخ وتجلس وتعد كوباً من الشاي لها أصبح المنزل أكثر هدوءاً منذ غادره آل إيستمان وجلستُ أعلى الدرج بمواجهتها وبدت متعبة وعندما فرغت من إحتساء

الشاي قامت بإستدعاء جميع آل بريسكو إليها باستثناءِ فهرعوا إليها نزولاً السلالم كالرعد وبقيتُ حيث أنا إذ لم تستدعني ولم يكن لذلك حوجة إذ كنت قابعة أمامها وكان من السهل عليها رؤيتي وعندما تحلقوا حولها أخبرتهم أن يذهبوا لإحضار معاطفهم وكتبهم المدرسية وعندما ركضوا أخبرت بولين وباتسي بأن لا يحزموا حقائبهم، ليس بعد وكان كارلتون ومارتن أول من عاد إلى المطبخ ثم تلاهم بيوتي ودينيس فطلبت منهم اللحاق بها وهي تنزل على السلالم إلى الباب الأمامي وكانت الشاحنة متوقفة بالخارج ففتح لهم السائق الباب حيث ركبوا وتبعتهم أنا إلى الطابق الأرضي ووقفت عند الرصيف مع بولين وباتسي متوقفين فقالت:

- "يا بي، أنتِ تعلمين بإنتقالنا إلى المنزل الأخر فلقد أخبرتك مسبقاً يمكنك الحضور ورؤيته اليوم مع باتسي إلا أنه ليس هنالك متسع كاف لكما لتقيما به حالياً".

وسلمت أختي مذكرة عليها العنوان وبنفس الوقت ناولت بولين بعضاً من النقود وقالت:

- "استقلى البص رقم 45 وأطلبي التوقف عند طريق ڤوقان فالبص يتوقف خارج الرقم 5 فقط وسأقابلك هناك في غضون ساعة إلا ربع".

ومن فوق ضجيج المحرك صحتُ بوالدتي:

- "وماذا بشأني؟"

فقالت:

- "ماذا بشأنكِ؟ لا أذكر أنني دعوتك للذهاب إلى أي مكان، أنت إمرأة ناضجة فإن كان بمقدورك أخذ إيستمان إلى المحكمة فإن بمقدورك الإعتناء بنفسك".

ثم رددت:

- "ماذا بشأنكِ؟ لقد كان هنالك الكثير بشأنكِ"

وأنعطف السائق خارج المنزل وقاد مباشرة إلى نهاية الطريق ثم إنعطف يميناً وأختفى عن ناظري وركضت بولين وباتسي إلى داخل المنزل وجمعن معاطفهن وركضن خارجاً للذهاب إلى موقف البص ولم أرَ أخواتي مجدداً ليومين.

الفصل الحادي والعشرون

وحيدة في المنزل

1972

وعند عودتهم إلى ميدان 19 صذرلاند تم إعلامي بأن والدتي وإيستمان وبقية أفراد الأسرة قد إنتقلوا إلى طريق رقم 5 ڤوقان حيث أحتلوا الطابق العلوي وجزء من الطابق الأوسط لقد كان واضحاً أن المنزل كبير وذلك لوجود مستأجرين في الطابق الأرضي ولم يكن هنالك متسعاً للجميع فبقينا أنا وباتسي وبولين في ميدان صاذرلاند واستغلت كل واحدة منا طابقاً، وتم توجيه دعوة قائمة لكل من بولين وباتسي للذهاب إلى طريق رقم 5 ڤوقان لتناول الغداء في يومي السبت والأحد بيد أنه لم تتم دعوتي.

وعندما ألقينا نظرة على المطبخ وجدنا أن والدتي قد قامت بأخذ جميع الأطباق، ومعظم القدور والمقالي، وكل ما تبقى من أغراض هي الفُرش التي ننام عليها أنا وباتسي وبولين وجهاز موقد الطبخ، والثلاجة، وطاولة على المطبخ. وحتى اللحظة التي غادرت فيها والدتي لم يخطر ببالي أنها كانت جادة بتركنا لنعول أنفسنا فلم يك هنالك طعام في الخزائن فلا حليب في الثلاجة وقد اختفت المؤن التي كانت عادة مكدسة بجانب الأبواب الفرنسية حيث أصبحنا بمفردنا فواصلنا حياتنا كالمعتاد في الأيام القلائل الأولى متوقعين عودة والدتي في أي لحظة لتخبرنا بأننا أبناءها وأننا سنعيش جميعاً مع بعضنا البعض إلا أنها لم تظهرحتى الجمعة التالية. خرجنا جميعاً لنحاول شراء بعض الطعام وأخبرت والدتي بولين وباتسي بأن تتبعاها إلى الطابق الأرضي فدلفت إلى ما كان غرفة جلوسها القديمة فتبعتاها وجلستُ أنا على السلم وظل الباب مفتوحاً فأخبرت بولين بأنها من الآن فصاعداً سوف تحتل كل الطابق الأرضي بغرفه الأمامية والخلفية، أما باتسي فسيكون لها الطابق العلوي وأنا سأبقى في الطابق الأوسط

لأنه ليس هنالك شخص بكامل قواه العقلية قد يرغب في غرفة تم تبليلها سواي. وكانت فكرة عدم بقاء والدتي معنا تُشعرني بسعادة غامرة يا للفرحة لا مزيد من أمي!

ومرة أخرى وجهت والدتي الدعوة إلى أخواتي لتناول الغداء أيام السبت والأحد في المنزل الجديد ولكنها لم تذكرني كما قالت أن بإمكانهما الذهاب إلى هناك بعد المدرسة وقتما تشاءان فالمنزل على بعد مسيرة من ساكرد هارت.

وللأسابيع القلائل الأولى كانت تلك الحياة الجديدة مليئة بالسعادة فكان المنزل هادئاً جداً وآمن حتى أنني نزعتُ المنبه ووضعتُ المعدات جانباً، وبعد تلاشي الإثارة إستقررت على روتين فدائماً ما أنجز فرضي المنزلي حالما أصل المنزل وبعد إنجازه بتلك الطريقة كنت أُعد لنفسي شيئاً للأكل وكان عداد الغاز يأخذ نصف كرونة ولضمان إمداد الغاز كان يتوجب وضع العديد منها كما كان عداد الكهرباء موضوع أعلى الباب الأمامي على اليسار عندما تدلف. وعلاوة على ذلك كانت لوحة الفيوز مثبتةً على الحائط بعلبة بلاستيكية كبيرة.

وبمغادرة والدتي لميدان صاذرلاند أُعتبر من مسئوليتنا أن ندفع للغاز وبما أنني كنت الوحيدة التي كان لديها المال وقعت المسؤلية على عاتقي وعندما سألت بولين والدتي عن الغاز قالت لها وبكل بساطة:

- "إذا أردتِ الأكل والماء الساخن فعليك الحصول على المال".

فقررنا نحن الثلاثة فيما بيننا أن نقوم بتوفير الطاقة فلا نستخدم موقد الغاز إلا إذا اضطررنا لذلك كما حاولنا أن لا نستخدم الكثير من الماء وقد قمنا بإعادة تنظيم الغرف حيث قمت بتحريك كرسي من المطبخ إلى داخل غرفة الجلوس الأمامية والتي كانت في الأصل غرفة التوأم بحيث أجلس هناك اليوم تلو الآخر لأنجاز واجبي المنزلي وظلت غرفة نومي كما كانت عليه من قبل وكانت قطع الأثاث الوحيدة بها هي فراشي والخزانة وطاولة الزينة. وانتقلت بولين إلى

طابق والدتي الأرضي بينما نقلت باتسي غرفة نومها إلى غرفة الأولاد القديمة واستعملت غرفة نومها التي كانت تتشاركها مع بولين كغرفة جلوس وتأقلم ثلاثتنا بسرعة ولم يك هناك شجار حقيقي يدور بيننا، في الحقيقة كنا نرى بعضنا البعض بصعوبة عدا في المطبخ أو الحمام ولم أكن في عجلة من أمري لمشاركة صحبتهما وسرعان ما أدركتُ أن أموالي تلك التي أكسبها من روزس غير كافية لشراء السلع الأساسية فتوجب علي التقليل من الوجبات السريعة كالبرقر والسمك والبطاطس المقلية، ولكن كلما إبتعت الطعام هجمت عليه أخواتي في الثلاجة وقضين على أكثره وقلن بأنهن يبحثن عن وظائف ليوم السبت ولكنهن في الحقيقة لم يرزحن تحت الضغط ليعثرن على إحداها وذلك لأنهن غالباً ما يتناولن الطعام في طريق رقم 5 ڤوقان.

كانت واحدة من صديقاتي الناضجات تدعى أنجيلا فيونتس وكانت علاقتها بوالدتي قد أخذت في التدهور منذ زمن طويل ولم يعدن يتزاورن كما كنا يفعلن في الماضي إذ لم تحب أنجيلا والدتي وأعتقدت أنها إمرأة صعبة المراس فذات مرة كانت أنجيلا موجودة في منزلنا وشاهدت والدتي وهي تمُسكني من صدري وتدفعني إلى الخلف ليضرب رأسي الحائط كما حضرت أيضاً لتحتسي كوباً من الشاي بعد اليوم الذي أزالت فيه والدتي فراشي ولم تستوعب قط فكرة أن أي أمراة قد تكون قادرة على إزالة فراش طفلتها التي تنام عليه، ومن يومها وهي تحافظ على مسافة بينهما. وبمساعدتي في تحسين لغتهم الإنجليزية أصبح أولادها الأربعة الآن يتحدثونها بشكلٍ أفضل من ذي قبل (الآن أولادها الأربعة يتحدثون الإنجليزية أفضل من ذي قبل لقد ساعدتهم حتى تحسنوا) لقد كان بمقدوري الذهاب إلى شقة أنجيلا ليوم أو يومين في الأسبوع ولمدة ساعة لتلقين أبنها الأكبر فأصبحنا أنا وهي مقربتين ولم تهتم أنجيلا لبولين وباتسي، لأنها إعتقدت أنهن كن مدللات أمهن وأنهن يتوخين الحذر من إرتكاب خطأ قد يوقعهن في مشاكل معها.

وكانت أنجيلا مشرفة تنظيف وكانت متعاقدة مع مجمع مباني مكتبية في ويست إند. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من مغادرة أمي للمنزل سألتها إن كان بإمكاني الحصول على وظيفة معها، مبدئياً قالت لا، وذلك لأنني مازلت صغيرة جداً على العمل وإلى جانب ذلك، فإنني أحتاج إلى بطاقة تأمين قومية ورقم والتي لم أملك أحدهما ولم تكن أنجيلا تدرك حينها بأنني أعيش بمفردي ولم يكن بإستطاعتي التحدث بذلك الشأن وذلك لأنني لا أريد أن أقطن مع والدتي فلقد كنت سعيدة جداً بوضعي الحالي.

أضحت فروضي المدرسية الآن جيدة منذ أن أصبح لدي متسع من الوقت لدراستي الخاصة وبدأ شعري في النمو مجدداً، ولكن كان النمو بطيئاً فلم أكن متأكدة من أنني سأستعيده بالكامل. وذات يوم أحدٍ بعد القداس قررتُ زيارة انجيلا فطرقت بابها عند الساعة العاشرة ففتحته أنجيلا وأشارت إليَّ بالدخول إلى شقتها حيث أجلستني على كرسي مرتفع وأعدت لي فنجان قهوة مركز دون أن أطلب ذلك وأعدت لنفسها كوباً أخر ووقفت وظهرها مستند على كاونتر المطبخ ثم قالت بلهجة أسبانية حادة:

- "أخبريني يا كلير ماذا يحدث معكِ؟"وكانت دائماً ما تفخم الحرف الأول من اسمي.

فقلتُ:

- "لا يوجد الكثير".

قالت:

- "بربك يا كلير أنت تمازحينني إذ دائماً ما يحدث شيئاً بوجود أمكم تلك".

كانت لدى انجيلا بشرة سمراء وشعر أسود داكن وكانت تصففه قصيراً مع جزء على الجانب الأيسر وكانت الخصل مدلاة بلطف على وجهها مثل غريتا

قاربو ولقد كانت جميلة حقاً، بإسلوب أسباني حيث يبلغ طولها 5 أقدام وثمان إنشاتٍ كما كانت رشيقة معتدلة القوام وكانت ترتدي سراويل ولا ترتدي ثياباً أو تنانيراً مطلقاً وهي دائماً ما تضع سيجاراً مشعلاً في فمها وعندما كانت تدخن كانت تلقي برأسها إلى الخلف وإلى الجانب ثم تنفث الدخان خارج فمها دفعة واحدة وكان أبناؤها الأربعة يركضون حولها أثناء رفعها لفنجان القهوة فقالت:

- "أخبربني يا كلير ما الذي تخطط له تلك المرأة الآن؟ إنها إمرأة سيئة، سيئة جداً وهي ليست تشبه الأم، هل تعلمين ما مشكلة والدتك؟ انها جشعة هي دائماً تطلب أعطني وأعطني، سيئة جداً".

إحتست انجيلا قهوتها وأخبرتها بأنني لم أرَ والدتي منذ أكثر من ثلاثة أشهر فتعجبت وقالت:

- "ماذا تعنين بثلاثة أشهر؟ أنت تقطنين مع والدتك في نفس المنزل".

فشرحتُ لها الظروف التي تركتنا فيها والدتي في المنزل فشرعت بهز رأسها وقالت:

- "إنها إمرأة سيئة جداً، هيا أخبريني المزيد يا كلير".

فبدأتُ أخبرها بإنتقال إيستمان وعندما توقفت لأخذ رشفة من القهوة قالت أنجيلا:

- "لم أحب ذلك الرجل مطلقاً، إيستمان فهو يجعل جلدي يقشعر يا له من رجل سيئ جداً".

فأخبرتها كيف أن والدتي قامت بنقل آل إيستمان وتركتنا خلفها أنا وبولين وباتسي، وفي النهاية سألتُها مجدداً عن الوظيفة وشرحتُ لها أنه ليس لدي شكوى من أن أكون مستقلة بنفسي، ولكن يتوجب علي أن أجد وسيلة لأعول نفسي فسألتني أن أدع الأمر لها لبضعة أيام ومن ثم أتصل بها إن لم تتصل هي

بي. ولقد كُنتُ مهتمة حقاً بالوظيفة أستطيع أداءها قبل المدرسة. ولم يكن لدي خبرة عن تنظيف المكاتب ولكن يمكن تعليمي، فلدي الكثير من الخبرة في العمل المنزلي وكان الاختلاف الوحيد بينهما في الحجم.

- "سأتحدث إلى أحدهم أولاً وبعدها سأتحدث اليك، وسأرى ماذا يمكنني أن أفعل؟ ربما يمكنني المساعدة فحسب".

وبعد ذلك تحدثنا بشأن بولين وباتسي وأخي كارلتون الذي كان صديقاً مفضلاً لإبنها لويس وأثناء إحتسانا لقهوتنا دلف زوج أنجيلا إلى المطبخ وقال:

- "مرحباً يا كلير".

وعاد إلى لخارج مجدداً فستاءت أنجيلا، كان زوجها يعمل في الليالي كرئيس طهاة في مكان ما في إيست إند ولم تكن تحبه كثيراً فلقد كان دائماً ما يصيح على أبنائها حيث كان يتوجب عليهم الهدوء عندما يكون أبوهم نائماً وكان ذلك شيئاً صعباً على أربعة صبية مشاغبين يعيشون في شقة عادية من ثلاث غرف ولقد كانت أنجيلا تعشق أطفالها وكانوا هم يعشقونها.

كان السيد فيونتس رجلاً مثيراً للاهتمام فقد كان أصلعاً مع بضع خصل الشعر تتجه من ناحية الأذن اليسرى وتلتف عند مؤخرة رأسه لتنتهي أمام أذنه اليمنى وكان ذلك لا بأس به بالنسبة لرجل، لقد كان ذو لون بشرة كبشرة أنجيلا إلا أنه لا يزيد عن الخمسة أقدام ، وكان يمشي مطأطأ رأسه كما كان يهمهم مع نفسه عندما لا يقوم بتوبيخ أبناء انجيلا وكان ممتلئ الجسم قليلاً مع بطن بارز وساقين قصيرتين جداً وجسد طويل وعندما يمشي كانت يداه تبقيان بجانبه من دون حراك وتتدليان إلى أسفل ركبتيه وكان يبدو غريب الشكل ولم تكن أنجيلا تتحدث معه قط، وبالأحرى ليس عنه ودائماً ما تكون سعيدة عندما يكون نائماً أو خارج المنزل وكان أبناء أنجيلا وهم لويس وريتشارد والتوأم إيفان وتيري

يعاملون أبوهم بنفس عدم الإحترام. فأكملنا شرب قهوتنا وودعنا بعضنا البعض وتواعدنا على أن نكون على إتصال.